

# أَعْرَافُ الْأَطْبَاءِ

## دُعْوَةُ الْأَطْبَاءِ

تحقيق

فلييب كينيدي وجيرمي فيريل



دُعْوَةُ الْأَطْبَاءِ

ابن بطلان



## تحقيق

فيليب كينيدي وجيري فيريل

طلب النسخة الكاملة للشراء –

بنص الكتاب المحقق مع الترجمة الإنجليزية والمقدمة وكلمة  
عن المخطوطات المستعملة والمواثيق والمصادر –

من المكتبة العربية

([www.libraryofarabicliterature.org](http://www.libraryofarabicliterature.org))

## المكتبة العربية

تهدف المكتبة العربية التي أُنشئت بموجب منحة مقدمة من معهد جامعة نيويورك أبوظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيويورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربي باللغتين العربية والإنجليزية. إذ تُعد مجموعة من الباحثين الموقين في مجال الدراسات العربية والإسلامية النصوص بحيث يُعرض المتن العربي الحق وترجمته الإنجليزية في صفحات متقابلة من الجلد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربية إلى حقبة ما قبل الإسلام في حين تعود أحدها إلى مستهل العصر الحديث. وتضم المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعية وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصة والحكاية.

تدير المكتبة العربية مجموعةً من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم، منهم أعضاء لجنة التحرير، وهم فيليب كينيدي من جامعة نيويورك الذي يعمل محترفاً عاماً، وجيمس مونتموري، أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبريدج، وشوك محمد تراوا، أستاذ اللغة العربية في جامعة ييل، اللذان يعملان محرين تفيذيين، وتضم لجنة التحرير: شون أنثوني (جامعة ولاية أوهايو)، وهدى فرج الدين (جامعة بنسلفانيا)، ولارا حرب (جامعة برمنغهام)، ومايا كسروانى (جامعة نيويورك أبوظبي)، وإياناس خنسه (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وبلال الأرفه لي (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وموريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبوظبي)، ومحمد رستم (جامعة كارلتون). ويشار إلى المحترفين في اختيار النصوص وتفويض المתרגمين ومراجعة المخطوطات والتدقيق النهائي للنصوص المترجمة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل الأعضاء المؤسسين للجنة التحرير - جوليا براي (جامعة أكسفورد) ومايكل كورسون (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) وجوزيف لوري (جامعة بنسلفانيا) وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو) وديفين ستيوار特

(جامعة إيموري) - محرين استشاريين، وذلك من خلال تقديم النصائح والإرشاد للسلسلة بشكل عام.

تُعد المكتبة العربية الأسبق في نوعها، حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبيرة تضم نصوصاً عربية ذات قيمة مرجعية تصاحبها ترجمات إنجليزية تتصف بحداثة الصياغة وسلامة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلاب وجمهور القراء غير التخصصيين بموروث الأدب العربي.

# كلمة عن إثبات النص العربي

اعتقدنا في إثبات النص على مخطوطتين أما الأولى فهي النسخة من مجموعة حداد بمكتبة ويلكوم (لندن) المتاحة بشكل رقمي من خلال ترخيص المشاع الإبداعي وأما الثانية فهي النسخة من مكتبة آمبروزيانا (ميلانو) المتاحة بشكل مصور من خلال مكتبة هيسبرغ بجامعة نوردام (الولايات المتحدة). من هاتين المخطوطتين اخترنا نسخة ويلكوم أصلاً لكونها شاملة على نص الرسالة الكامل ولكون نسخة آمبروزيانا ناقصة في بعض الزواجي مع أنها تحتوي على قراءات مميزة على صعيد اللغة والنظم. ولمزيد من المعلومات عن المخطوطتين والتفاصيل نشيركم إلى المقدمة للترجمة والتحقيق الأصلي وحاشية النص العربي.

# دُعْوَةُ الْأَطْبَاءِ

- ١٠٠ هذه رسالة دعوة للأطباء على مذهب كليلة ودمنة تشمل على منح يسمّ عن جد وباطل ينطوي عن حقّ وخير القول ما أغمى جده وألهى هرنه صنفها أبو الحسن المختار ابن الحسن بن بطلان للأمير نصر الدولة أبي نصر أحمد بن مروان من أمثال الحكماء وكلام البلاغة ونواتر الفلسفه ليجد العالم فيها ما يوافق طريقته وينقاد المعلم بسهلها إلى تسهيل عوicتها<sup>١</sup> فيقرب على يد تناوله ويظهر للقارئ فضل الأطباء المهرة وعجز المخرقين بهذه الصناعة.
- ٢٠٠ وهي اثني عشر قسماً.
- الأول منها في فاتحة الكتاب ومدح بغداد وذمّ ميتافارقين لما فيها من الكساد الثاني في ذكر مجلس الطعام وإيراد الحجّ التي تحفي عن الأكل فيما تقدم من الألوان الثالث في نعت مجلس الشراب واللذة وذكر ما جرى من المسائل الرابع في اعتبار الطباعي بمسائل توضّح فضله وتظهر جهله الخامس في سؤال الحال عمّا لا يسعه جهله السادس في اعتبار الجرائحي بمعرفة التشريح والمنافع السابع في امتحان الفاصل بما يحتاج إلى معرفته من المنافع الثامن في اعتبار الصيادلة بمعرفة العقاقير والأدوية التاسع في غيرة الأطباء وتعاريفهم على المرضى العاشر في اعتذار الطيب المصرّوف وذمّ الصارف له الحادي عشر في استهانة العامة بالصناعة الطبية والرذ عليهم الثاني عشر في خاتمة الكتاب وذكر سبب انقطاع الزيارة والاجتناب
- ٣٠٠ ونسأّ الله أن يوفقنا لدرك الأغراض الصحيحة والألفاظ الفصيحة ليكون ما نأتي به مالكًا لرضى من حثّ على نظم منتشرة وجمع منتشرة أنه جواد مجيد قibe محب.

---

١ وغرضه.

- ١٠١ قال بعضهم لما دخلت ميافارقين سالت عنّها من المتطيّبين فارشدت إلى دكة في العطارين عليها شيخ من أبناء السبعين مرهف الشمائل حلو الدعاية عذب الفكاهة حسن المعارضة متّيّز عنّ أضرابه متّشتّب بأدیال الأدب ذو براعة في صناعة الطب فلت نحوه مسلماً فرّد على السلام وأوسع لي المكان وتلقاني بالإكرام والإعظام.
- ٢٠١ وقال من أنت قلت غريب رمت به الأقدار إلى هذه الديار قال وما صناعتك قلت طبيب قال أفع الصنائع وأرجح البضائع ومن أين أقبلت قلت من بغداد قال بغداد سرّ الدنيا وقطب الأرض وعرصّة الأدب ومعدن الفضل ودار السلام وحضرّة الإمام وقبة الإسلام وأنشد [المقارب]

أَحِبُّ الْحُلُولَ بِتِلْكَ الْطَّلُولِ وَحَرَّ الْدُّبُولَ بِذَاكَ الْمَقَامِ

- ٣٠١ دخلتها قديماً لطلب العلم وزمانها كالربع الممرع وأيامها كالأعياد والجمع وترابها امتد تكّحل به الأحداق وحصاها درة تعلّد به الأعناق وبضائع العلماء قيامة الموسم والأسواق ولقيت بها ابن الخطّار وابن عبدان ونظيف بن مين القس<sup>٢</sup> وابن بكس<sup>٣</sup> وأبا الوفاء المهندس قلت له لم رحلت عنها أمللت المقام بها فأنشد [الطويل]

لَعْمُكَ مَا فَارَقْتُهَا عَنْ قِلَّيِهَا وَإِنِّي بِشَطَّيِ جَانِبَيْهَا لِعَارِفٌ

- قلت فكيف سمحت نفسك بمحارقة هؤلاء الفضلاء، وهم كانوا لك الغرض الأقصى فقال والله يا سيدي ما صعدت إلى هذه البلد وقد بقي من القوم أحد قلت ثمّ ماذا قال [الكامل]

ثُمَّ أَنْقَضْتَ تِلْكَ السَّنُونَ<sup>٤</sup> وَأَهْلَهَا فَكَاهَكَاهَا وَكَاهَهُمْ أَخْلَامُ

١: وسحب. ٢: القيسي. ٣: نكس. ٤: العلوم.

٤١ ويعزّ على ما فعل الدهر بأولئك الأنجم الزهر فقد فقدوا العلم لفقدهم ومات الفضل بموتهم ولعلهم يا سيدي لو عاشوا إلى زماننا هذا لما تواصلوا قبل موتها قل الطالب وزهد الراغب وصارت الكتب ثابعاً على العطارين للهواجع وعلى الذهبيين للسفائح وعلى الملائكة للمراد هذه والله صناعة دُرثت وخدمت نارها وطفئت وصار للتعرض لها غرضه التكسب لا التطبب وقد قيل أنه بالحكمة تُطبب الأبدان وبالدراما تمرض الحكمة فإذا رأيت الطبيب يجرّ الداء إلى نفسه فمتي يداوي غيره [الوافر]

**وَهَلْ يُرجِي لِذِي سَقْمٍ شَفَاءٌ إِذَا مَا كَانَ مُسَقْمُهُ الظَّيْبُ**

ثم قال لي فأنت لم تقم ببغداد فقلت [الطويل]

**يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْبِي النَّوْيِ بِالْمُعْسِرِينَ الْمَرَامِيَا**

أما سمعت قول الشاعر [البسيط]

**بَعْدَادُ دَارُ الْأَهْلِ الْكَالِ طَيْبَةُ وَلِلْمَقَالِيسِ دَارُ الْضَّنَاكِ وَالضِّيقُ  
ظَلَّكُتْ حِيرَانَ أَمْشِي فِي أَرْقِهِكَا كَائِي مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ رِنْدِيقِكَا**

٥١ قال صدق ولكن عرفي لم قصدت هذه الديار قلت لزيارة عمر زعفران ونيتي الارتسام<sup>١</sup> بالطب إن طابت لي هذه البلاد فاضطرب لعزمي وقال هيئات يا هذا لأن تسمع بعيدي خير من أن تراه خاب والله سعيك وكما زندك وليتني كنت مثلك خالي العذار فاهررت من هذه الديار فما يأتي بها مقام لأنني وردت إليها وبها قوم يحسن عليهم الثناء ويقيع عند تقريرتهم الاستثناء إن اجتمعوا أحسبتهم جوهرًا منظوماً فإذا تفرقوا خاتهم لؤلؤاً منثوراً [البسيط]

١: لقد. ٢: ويزجي. ٣: بالمفترىن. ٤: الآسام.

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلُلْ لَا يَقْتُلْ سَيِّدُهُمْ مِثْلَ الْجُوْمُ الَّتِي يَسِّرِي بِهَا السَّارِي

٦١ قلت فما فعل الدهر بهم قال ماتوا والله وأولادهم وغلامانهم ولكن بعدما أتبعوا حاطري وأسهروا ناظري في علاجهم إلى أن قضى الله بهم فله درهم وسكن صوب الغمام قبورهم فإنهم<sup>١</sup> كانوا كفؤي موهبة الزمان مدة حياتهم وكانت في تصاعيف برهم لا أخلو من صبية تقطم أو غلام يختنق أو مفصود أول<sup>٢</sup> فصاده أو مريض أدخله المقام دع هدايا الأعياد والمواريز وما يحصل من زبون الدكان فالله ما كان يموت لي مرض إلا وقد مرض لي عوضه اثنان فأنا في تصاعيف ذلك في تلك من العجب في التجلل كأني قرواش بن المقلد أو ملك ميافارقين والله واليوم إذا انقطع الور قصدنا عرقين بدانق ولو لا أن عندي بقية موسم سنة الخوانيق أترمك بها وإلا كنت من الهاكلين.

٧١ وأظرف من هذا جميه أنه كان في كل خريف تكثر الأمراض وفي كل خمس سنين يعرض وباء وموت<sup>٣</sup> فنذ يوم ملك ابن مروان هذه الديار كسدت الصناعة وباهت البضاعة وصحت الأجسام وانكشف الوباء عن هذه البلاد وانقطعت على الخوانيق وكانت قلما فارقت الحلوى وبطلت الأمراض الخريفية وكان موسمًا مأولاً فصرنا لا نرى مريضاً إلا في كل حين ولا نشاهد جنازة إلا في كل زمان بعيد ولا نسمع صرخاً إلا في كل دهر مديد حتى كان إقبال الأمير قد عصم الأبدان من الأقسام ومحصن الأعضاء من الآلام أو كأنه من بي آل مروان قد أخذ للخلق من الدهر الأمان فما في الناس من ينشد فيه شعر الحسن بن هاني [الطوبل]

عَلِقْتُ بِحَبْلِ مِنْ حِبَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقَ الْحَدَّاثَانِ  
تَعَطَّيْتُ مِنْ دَهْرٍ يُظْلِلُ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
فَلَوْ قِيلَ لِلأَيَّامِ مَا أَسْمِي مَا دَرَثَ وَإِنَّ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي

١ (وسقي ... فإنهما): غير واضح في و سقط من أ. ٢ و،أ:أول. ٣ و:غير واضح.

يا سيدى ما أسعده على نفسه والناس وما أشعل رجليه علينا منذ يوم ولي  
٨١ ديارنا ما يفك أحد فينا ولا يحتاج إلينا ولا يلقت نحونا بعد أن كان الطبيب في هذه  
البلد أعز من جبهة الأسد اليوم جمهور الحفارين والمالين قد بعدوا عن هذه الديار  
وتشتتوا في القرى والأماصار واستغلوا أثراهم بالروزجار وسوق العجل والفدان ونقل  
الجbusين من رؤس الجبال إلى البلدان وربما يلقاني البطلان منهم فأسكن منه ويقول  
ربما عاد ذلك الزمان [مجزء الوافر]

### عَسَّةِ الْأَيَّامِ أَنْ يَرْجِعُنَّ قَوْمًا كَمَا كَانُوا عَلَى أَقْصَى الْمُرَادِ

يا سيدى عن أي شيء أخبرك من تلك الأيام والله لقد كانت تخرج الجنائز إلى  
٩١ المقابر بالثياب الديباج كأنهم زهر البستان ولو عد في يوم من أيام الوباء ما قد خرج  
من باب واحد من الجنائز فكان مائتى جنازة من كثت أطبه أنا سوى من كان يطبه  
هذا الطبيب الذي في جواري وكانت تقف كل يوم على باب داري خمسون بغلة  
من بغال الجند والكتاب سوى رسول التجار ومن تلك السنة صرت أتية من عمارة  
بن حمزة وأعز من عمرو بن معدى كرب<sup>٢</sup> فمن لنا بذلك الموسم وأنشد [المنسج]

### قَدْ دُقَّ مِنْهُ مَا لَيْسَ يَقْلَعُهُ<sup>٣</sup> أَبُو الْحَسِينِ الْقَلَاعُ مِنْ ضِرْبِي

يا أخي أين كنت وأهل هذه البلاد لا ترى فيهم صحيح المزاج ولا من مستغٍ عن  
١٠١ التداوى والعلاج والجنائز تجلّى كالعرائس وتحظى على المقابر كالنجم الزواهر وأصوات  
الصوانٍ في المؤتمر<sup>٤</sup> والنواحٍ كترم المراهر وأصطباغ الآلات والملامر وغضسو الموئي  
لا يصل إليهم إلا بالملاطفات والأطباء يتزاحم على دكاكينهم بالمهادي والبلغات  
اليوم وحقك الناس متشاركون بتصفية الأقداح والقناوي<sup>٥</sup> واختيار الملاهي والغواي  
والضرب على المثالث والمثنى والغناء بشعر الحسن بن هانئ [الخفيف]

<sup>١</sup> وقد. <sup>٢</sup> و: عمر بن معدى كرب. <sup>٣</sup> أ: يخرجه. <sup>٤</sup> و: المأتم. <sup>٥</sup> و: القناوي والأقداح.

## قَدْ عَلِقْنَا مِنْ الْأَمِيرِ حِبَالًا أَمَّنَّا طَوَارِقَ الْحِدَثَانِ

- يا سيدى أي شيء تعمل في هذه البلد والله أين أبي اليوم والشهر لا يسألني  
إنسان حاجة ولا تختار بي جنائز وإذا سهل الله وجاءنا مريض كان كما قال المثل إذا  
كسد أصحاب القلانس جاءهم زبون معوجو الرؤس وقد والله يا سيدى سمت نفسي  
هذه البلد وملئي أهلها لأن الماء إذا وقف ظهر نتنه وإذا كثر به ظهر خبته ولقد  
حدثني نفسي دفعات بالخروج منه ثم أقول إلى أين أخرج ولين أقصد وإن أتعرب  
وما بقي أقل مما مضى ومع اليوم غد وما يعدهني إلا الآلف والزمان كلما مر جاء إلى  
خلف كل هذا غرضه أن يغض لي المقام.
- ثم قال حدثني ما تعلم في عمر زعفران قلت يا سيدى أعلم أني سمعت جالينوس  
يقول إن قياس طب الهياكل إلى طبنا كقياس طبنا إلى طب الطرقات وأنا رجل  
ضعيف المعدة ناقص الشهوة وما أبقيت دواه إلا شربته وما نفعني وقد وصف لي  
أن في هذا العمر رجالاً من فضلاء الرهبان الذين رأوا الدنيا بعين الحقيقة فأطربوها  
عن خبرة بها فانا أمضى للقائه والتبرك بدعاه.
- فضحك الشيخ مي حيناً وقال ما أشبه هذا منك إلا برجل رمدت عيناه فلقيه  
صديق فقال له أرى وجمع عينيك قد طال فماذا تعالجهما قال بداع الوالدة فتقال  
له لو أضفت إليه قليل أعزروت<sup>١</sup> لكان أسرع في الإجابة وكذلك أنت لوعانت عن  
داعه الرهبان بمجهون الزامهـان<sup>٢</sup> كان أبلغ في تقوية المعدة وتبيه الشهوة وهذا دواه  
هندي<sup>٣</sup> عملته لنفسي وأنا أواسيك منه بما تنفع به هات عرقني كيف هضم معدتك  
للطعام ومقدار غذائك في هذه الأيام قلت أما شهوي فعلى غایة التقصير وغذيـ<sup>٤</sup>  
فنـزـر يـسـيرـ.

فلمـا نظرـ الشـيخـ مـيـ إـلـىـ ضـعـفـ المـعـدـةـ وـقـلـةـ الشـهـوـةـ قـالـ أـنـقـومـ إـلـىـ الـبـيـتـ يـاـ فـدـيـتـكـ  
لـنـأـكـ شـيـئـاـ وـنـتـحـدـثـ فـقـدـ أـنـسـتـ بـكـ لـأـنـكـ لـيـسـ مـنـ أـهـلـ هـذـاـ الـبـلـدـ فـتـخـرـ حـدـيـثـاـ إـلـىـ

١: عزروت. ٢: رامهـانـ. ٣: عنـديـ. ٤: غـيرـ وـاضـحـ.

أَحَدْ وَقَلَمَا أَنْسَتْ بِإِنْسَانٍ وَمَا أَنَا مَعَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ إِلَّا كَلَمَ السَّرَابِ وَأَنْشَدَ  
[الوافر]

عَدُوكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكِرْنَ مِنَ الصَّحَابَ  
لَآنَ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ

فَتَنَعَّتْ وَحَلَفَتْ لَهُ أَيْنَ قَدْ أَكَلَتْ فَأَلْحَى عَلَيْ فَقَمَتْ إِلَى دَارِهِ.

وَجَلَسَنَا سَاعَةً نَتَحَدَّثُ وَإِذَا الْغَلامُ قَدْ أَتَى بَطْبَقَ عَلَيْهِ مَنْدِيلٌ وَفُوقَهُ خَبْزٌ وَخَلٌّ وَبَقْلٌ  
فَلَمَّا وَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَا قَالَ [الطَّوِيل]

وَمَا أَخْصَبُ لِلأَضِيافِ أَنْ تُكِرِّرُ آنِقَرَى وَلِكُنْمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ  
أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلِ إِنْرَازِ رَحْلِهِ وَيَخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَكْلُ جَدِيبُ<sup>١</sup>

ثُمَّ قَالَ يَا سَيِّدِي نَحْتَاجُ أَنْ نَعْتَذِرَ فَالْعَالَمَةَ تَقُولُ [مِجْزُوءُ الْكَامِل]

إِذَا طَرَقَتْ هَآ حَضَرٌ وَإِذَا دَعَوْتَ فَلَا تَذَرْ

وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ طَوَالٌ

وَأَخْذَ رِغْيفًا وَقَالَ رَحْمَ اللَّهِ الْمُجَوزُ لَقَدْ كَانَ لَهَا عِنْيَا حَسَنَةٌ بِالْخَبْزِ هِيَ عَلِمَتْ هَذَا  
الْغَلامُ أَنْ يُخْبِرُ هَذَا الْخَبْزَ كُلَّ يَا سَيِّدِي فَإِنَّهُ مَغْسُولُ الْحَنْطَةِ مُخْتَمِرُ الْعَيْنِ مُعْتَدِلُ الْمَلْحِ  
خَلْبَجِيُّ الظَّهَرِ مُورَدُ الْوَجْهِ عَلَكَ الْمُضْغُطُ سَرِيعُ الْهَضْمِ مَلَأْنِ الْجَسْمِ ثُمَّ أَخْذَ طَاقَةَ هَنْدِبَاءَ  
وَقَالَ عَلِمَ يَا سَيِّدِي أَنَّ الْهَنْدِبَاءَ أَنْوَاعُ أَجُودُهَا الرِّيقَةُ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهَا وَأَصْلَى  
فِي إِصْلَاحِ الْكَبَدِ وَأَسْرَعَ فِي تَفْتِيحِ السَّدَادِ وَكَثِيرًا مَا سُقِيَ مَأْوَاهَا مَعَ الرَّوَانِدِ اَنْظَرْ يَا  
سَيِّدِي إِلَى عَرْضِ وَرْقَهَا وَصَفَاءِ خَضْرَتِهَا وَتَطَعَّمَ عَذْوَبَةَ طَعْمَهَا وَرَطْبَتِهَا وَبَرْدَهَا لَا

<sup>١</sup> وَأَنْ: جَدِيبٌ. (أَنْ): أُضِيفَتْ لِلْسِيَاقِ.

سيما إذا أكلت أخيراً أن تؤكل مع هذا الخل الشيف انظر إليه فما معمول في دفع الصفراء إلا عليه ولكن لا حيَا الله هذا الغلام فإنه غلظ علىي منذ أيام وقدم إلى منه شيئاً قليلاً من المزاج فأكلت منه شيئاً على اغترار به فما أن حصل منه يسير على لسانه حتى طار إلى حلقه ورأسي فبادر رعافي وسالت دموعي وانصل بي السعال وبقيت متلماً عدة أيام ثم قال كل منه واحد ز.

٢٠٢ فلما هممت بالأكل قال ألسْت<sup>١</sup> على نية في الحمية قلت لعلي أختار يوماً لذلك قال أعظم من الذنب اليأس من الرحمة وأشدّ من الخطيئة الممالطة بالتوبه وأشار من المرض التسويف بالحمية وقد قيل إن الشفيع المخالف عدو طال الحاجة والطبيب المتبع رسول ملك الموت والمريض المخلط كدوة القرآن التي كلما ازدادت نسجاً ازدادت عن الحياة بعدها قلت يا سيدِي أنا والله كاره للحمية فقال لميري إن الحمية صعبة ولكن أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وفيتا غورس يقول من ساس معدته فقد قرب جميع الأعضاء من الاعتدال وأنت تحكم الصناعة ما كنْت أظننك تحتاج إلى بعض هذا فإنه قبح بالطبيب أن يُرِي مخلطاً كأنه قبح بالفقير أن يكون فاسقاً فاستخر الله وأمض العزيمة في الحمية وانظر إلى الغذا بصورةه إذا اسخال في غده فما أحسن ما قال سقراط وقد اجتاز على كساح<sup>٢</sup> قد أخرج من حش كساحة<sup>٣</sup> يا أهل آتينا هذا الذي كتم تعلقون عليه أبوابكم وتقيعون لحفظه الحزان وكانت شهواتكم تستخدم عقولكم في إعداده اليوم تقوسكم آفة منه وطبعكم نافرة عنه وحواسكم مع هذا أيضاً تروم مثل ما كان هذا عنده ثم قال كل وتدبر بما قد سمعت فإن هذه النصيحة ملقة بالحية وهذه الموضعة موشحة بالحكمة.

٤٠٢ فلما بدأتأت بالأكل أمسك يدي وقال اسمع كلاماً ينفعك فيما شكت وينقرب عليك صحتك أعلم أن أول مداواة<sup>٤</sup> الأمراض ضبط الشفتين والرفق باليدين وأخذ المريض نفسه بموجب العقل لا بدعائي الهوى والجهل فإن العقل يلتس من الأغذية أفعها والهوى يطلب من الأطعمة أشهها وأذتها وقلما يجتمع في شيء الفرع واللذادة فإن

<sup>١</sup> و: ألسْت. <sup>٢</sup> و: كساح. <sup>٣</sup> و: كساحة. <sup>٤</sup> و: أن مداواة.

**النفع** قلماً يكون في الغذاء واللذادة قلماً تُوجَدُ في الدواء فإذاً كأن تلدّ حلاوة الغذاء فتنقص بمرارة الدواء وأنشد [الواfir]

فَإِنَّ الْمَرَّ حِينَ يَضُرُّ مُرًّا  
وَإِنَّ الْحَلُو حِينَ يَسُرُّ حُلُو  
فَهُذَا مَرًّا تُصَادِفُ مِنْهُ نَعْمًا  
وَلَا تَعْدِلُ إِلَى حُلُو يَضُرُّ

وأياك أن توثر لذة عاجلة فإنها على المرء مضرّة آجلة لا سيما وأنّت مريض وقد  
امتلأت من الغذاء قلت يا سيدّي قد انهمض وأنا مشتبه للطعام فقال جوع كذاب  
وشهوة كالسراب وأنشد [السيط]

وَلِلَّهِ هُنْدُوْمٌ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ  
وَلَا تَكُنْ عَلَلًا فِي الْأَمْرِ تَظَلُّبُهُ  
فَلَيْسَ يَحْمَدُ قَبْلَ النَّاصِبِ بِحُرَّانٍ

قلت لها رأيك في التقدير قال الرأي التوقف فإن الداء البدوي إدخال الطعام على الطعام وهو الذي أهان البرية وقل السباع في البرية فإن الخدمة إذا بقيت أتلفت وإذا تحملت أضطررت وبقراط يقول لا تعتن بأمر جرى على غير القياس مثل الجوع يجده المريض قبل النقاء قلت يا سيدي أما تعلم أن القدماء يقولون إن القوت للمريض كالرائد للمسافر والمرض كالمسافة وهذا يجب أن لا يهمل الطيب أمر القوت خوفاً من سقوطها قبل متنهي المرض قال وما علمت أن بقراط يقول إن الأبدان غير الندية كلما غذوتها زدت بها شرًا قلت صدقت ولكن القدماء أيضاً يقولون مل مع المريض في بعض شهواته فإن الطعام الشهي وإن ضرر خير من غير الشهي وإن نفع قال الشيخ هذا صحيح إلا أن القدماء أيضاً يذكرون أن الأبدان المملوءة بالفضول تحيل الأغذية وإن كانت جيدة إلى طبعها قلت وقد قالوا أيضاً أطروح العلاج بالدواء ما أمكن التدبير بالغذاء قال الشيخ الذي أعلم أنك رجل

١ و: تصادفه. ٢ و: غير واضح.

معدتك رديئة وأحشاؤك ليست نقية فما آمن عليك إن دنوت من الطعام أن تقع في بلية قلت يا سيدي أنا أكل وأستعين بالله قال الشيخ لا حول ولا قوة إلا بالله إذا انقضت المدة كانت الحيف في المعدة.<sup>١</sup>

فأحضرت عن كلامه صحفاً ثم همت بالأكل فقال الشيخ مهلاً مهلاً أعلم شفاك الله أنّ صورة العلم عند العقل كصورة الغذاء عند الجسم إلا أن برداة الغذاء يهلك الجسم ويهبط هو والنفس إلى أسفل السافلين وبحقيقة العلم تصفو الفس وتصبح معه الجسم إلى علّيin ومقر الروحانيين ومقام العز ومعدن البهاء والفوز وبقراط<sup>٢</sup> يقول ليس بالخبر يحيى الإنسان بل بكل كلمة طيبة وسocrates يقول إن أحبت أن تأكل فلا تأكل حتى تأكل وأفلاطون يقول إنما أكل لأعيش لا أعيش لأكل فإذاك أن تهم على الأكل لكن تأن وتمهل وكن كالخياط الفاره الذي يقدر ألف مرة حتى يقطع فما في الجلة خير وخذ بقول الأول [البسيط]

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَائِيْ بَعْضٌ حَاجِتَهُ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَجِيلِ الْرَّازِلُ

قلت له ولم لا آخذ بقول الثاني [البسيط]

وَرُبَّمَا فَاتَ قَوْمًا جُلُّ أَمْرِهِمْ مِنَ الْتَّائِيْ وَكَانَ تَحْرِمُ لَوْ عِلْمُوا

قال فإذا عزمت على الأكل فصرق اللقم وقطعها باليابا وكسرها بالأناب والطحنتها بالأضراس وقلبتها باللسان وابلغ سحيتها وأعد إلى طحن الأضراس جريشها وقدم البقول على الترائد وإذا أكفيت بالتراث فلا تعدل إلى التوابل وأنشد [الكامل]

فَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تَرَدَّدَ إِلَى قَلِيلٍ يَقْعُ

١: كان المحتف في المحلة. ٢: عن كل أمر. ٣: حكيم. ٤: حسن.

وإياك واللган فسقراط يقول لا تجعلوا بطونكم مقبرة للحيوان وجالينوس يقول  
أجهل الناس من ملأ بطنه من كل ما يجده واعتمد على مقاومة الصفراء بالأشياء  
الحامضة والبلغم بالطعم الملحّة والسوداء بالثراء الدسمة وأعلم أن الصفراء كالصبي  
الصغير ترضيه التمرة<sup>١</sup> وتسخنه الكلمة والسوداء كالثور يسوقه الصبي وللمرأة وإذا  
غضب لم يُضبط والبلغم كالسبع إن قُتل إلا قتل فاقهر البلغم فهرك عدرك<sup>٢</sup>  
واخضع الصفراء خضوعك لمن فوقك وسامم الدم مسلطك صديقك وجاهد  
السوداء مجاهدتك عدوك واحتذر يا سيدي من كثرة الألوان المختلفة الطيام  
فتحتار<sup>٣</sup> المعدة في هضمها وتغز القوة عن إاحتتها ولا تأكل ما يكدر أسنانك في مضفة  
فتعجز معدتك عن هضمها واجعل يا سيدي ما يردا الحشا أثلاثاً ثلثاً طعاماً وثلثاً شراباً  
وثلثاً نفساً واحترز<sup>٤</sup> من الغذاء فما يساوي الدنيا التردد إلى بيت الخلاء لأن الطعام إذا  
بدأ ينضج ربأً وانتفع لم يجد في تجويف المعدة متسعًا أعقب الكطة<sup>٥</sup> وقلل من شرب  
الماء البارد في تضاعيف الغذاء وغلب العقل على الهوى فإنه قل من غالب هواء  
على عقله فلم يعطِ وقل من حرص على النساء فلم يفتخض وقل من أبتي بوizer السوء  
فلم يهلك وقل من أكثر من الطعام والشراب فلم يستقم وجعل الشيخ يمز في ضرب من  
هذا الفتن ليشغلني عن الأكل.

فلما طال كلامه واتسع في الهذيان ميدانه أضربت عن كلامه صحفاً وأقبلت على  
الأكل فأمعنت في الخل والبقل وهو لا يستزيد إداماً ولا يستدعى طعاماً حتى حيل  
له أثني قد شبعت وتصور أثني من الخل والبقل قد دقعت فقال لغلامه ارفع هذا عنا  
وقرب الشواء منا فقدم الغلام حملًا مشوياً فمدت يدي إلى الأكاف فقال إياك وإياها  
فإنها قبل من القلب الفضلات فلت نحو الزور فقال لا تعرّض له فإنه بطيء الهضم  
فعدلت إلى الكلى فقال هذه معدن البول ومائة الدم فأومأت إلى الأخذ فقال إنها  
مجاورة للماء والبراز فاستأذنت في الآلية فقال الله الله في نفسك فإنها وخمة رديئة  
تميت الشهوة وتحدى الهيضة فقلت فعل ماذا أعتقد قال على الأطراف من العضد

١: التمرة. ٢: عدرك. ٣: فتحتار، أختار. ٤: أختصر. ٥: لأن الطعام ... الكطة: كذا في أ. سقطت من و.

فهي ألطاف ما في الحروف لا سيما من هذا الرضيع المعلوم فأومنات إلى طرف كان  
قياماً مثني فقتل تأخذ من الأطراف المؤخرة والقاديم أشرف وتأخذ اليمني منها واليسرى  
اللطاف لقربها من القلب والحرارة الغزيرة وبعدها من الزبل والفضلات الرديئة خذ  
ما أعطيك ودع ما سواه فإنه يؤذيك.

٩٠٢ ثم فرك أحد الأطراف اليابسة وقال هاك هذه اليمني فإن الاعتماد كان عليها في  
الرعي والسعى فلهم نحوها يا ابن أخي فأخذتها ثم قال لغلامه ارفعه عني عسى أن نكوني  
غائلاً ونأمن برداهاته وبليته فلبلوغ الشهوات توافق مهلاكات وعارض مؤلات فرب  
أكلة قد حرمت أكلات وهات ما عندك فقدم مضيرة بلم بقر فبدأت آكل فقال أعلم  
وقتك الله أن الأكل يستمرى الأطعمة المموافقة له ولا يستمرى الأطعمة المخالفة لطبعه  
وهذه مضيرة بلم بقر والقدماء ينهون عنها لمن به ما يملك وعن الجمع بين لحم البقر واللبن  
كما ينهون عن الجمع بينه وبين السمك وهذه والله معدن المفاصل والتقرس واللقوة  
والقولنج والفالج فالله أن تحمل الشهوة على الاستصرار لهذه المضيرة ثم قال لغلامه  
ارفعها عننا في رفعها الخيرة لنا فإني لا آمن أن يقاد بزمام الهوى إلى مناخ الشهوة  
فيقع من هذه المضيرة في أمراض صعبة.

١٠٠٢ فرُفت وقدّمت إوزة بلبن قد عملت تحت المل قصورت أنه لا شيء يُرجى بعدها  
فدعت الضرورة إلى الشبع منها فخين رأني فيها معناً وعلى أكلها مقبلاً تبين الغضب  
في وجهه فأومنا إلى الغلام برفع الطبق فظنَّ الغلام أنه يستدعي منه الحلوى فقدم  
جامماً فيه فالوذج صبغ اللون حكم العقد فازداد غشه<sup>١</sup> وكان يرمي الجام بمتطاير<sup>٢</sup>  
دموعه وقال أعود بالله من سوء ما جرت به المقادير أعلم يا سيدي أنه ليس الأمر  
بالخير بأسعد من المطيع له ولا الناصح أولى بالنصيحة من المنصوح له فاسمع نصيحي  
واعلم أن الحلوى مضرّة بالأسنان مبرأة للفم واللسان لا سيما إذا اتبعت بالماء البارد  
فإن المأمون شكا وجع أسنانه إلى طبيبه جبريل فقال يا أمير المؤمنين امتنع من الماء  
البارد بعد الرطب والسكر فقال ويحك يا جبريل لولا هما لما أردتك وأي لذة تبقى

<sup>١</sup> وتجب. <sup>٢</sup> وغضبه. <sup>٣</sup> : كان يملأ الجام بتطاير.

للسان إذا أمتّنَّ الإنسان من الماء البارد والحلو وخالف جريل فيما وصف فكان من أسنانه ما قد عُرف.

وأنا أستنزلك عن هذا الجام فإن العاقل لا يؤثر اللذة على الصحة فغرقني على ماذا عزّمت قلت على الأكل والاشتغال على الله فقال كأنك إن تركت الحلوي لا تشکل على الله ثم قال أعلم أن الطيب واسطة بين الله والمريض والوسط فيه ما في الطرفين فيه من صفات الله رحمة ومنحة ومن المريض سؤال ورغبة فغرضه العافية ودأبه إهداه النصيحة والتوصّل إلى صلاح كل نسمة وأنشد [السرير]

لَوْغَضِبَتْ رُوحٌ عَلَى جُسْمِهَا أَصْلَحَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسْمِ  
كَانَهُ مِنْ لُطْفِ أَنْفَكَارِهِ يُحَوِّلُ بَيْنَ الْحَمْرِ وَالْعَظْمِ

فلا شيء في الظن وتنبني في هذا القول والفعل إلى البخل فإنه لا بد من النصيحة لك فلا يقبل ذلك عليك فالله أنتي أشتاهي كثيراً اللون الذي وزئه ثم أخاف غائته فأنتي نفسك عنه وربما غلبتني الشهوة فلا أزال أذكر نفسي الآلام والأوجاع وأحضر بين يدي آلات العلاج ثم قال لغلامه ارفع الحلوي وهات ما عندك فما شكت إلا أنه جام آخر ولو ن قد تأخر وإذا طبق فيه كلبات الأضراس ومكاوي الطحال والرأس وكلبات العلق<sup>٢</sup> ونشاب وصنایر السبل والظفرة<sup>٤</sup> وزراقات القولون والذكرون وقاتطير التبويل وملزم البواسير ومحطر<sup>٥</sup> المناخير ورصاص التشيل ومبخل<sup>٦</sup> النواصير<sup>٧</sup> ومحالب التثمير<sup>٨</sup> ومحلك الجرب ومنشار القطع ومهمث القدح وبمحرفة الأذن وورد السلع وقادين الجرب وخشبة الكتف وحبال الورك ومفتاح الرحم ونوار النساء ومكمدة الحشا وقدح الشوصنة ودرج المكامل ومرهдан المراهم ودست المبايض.

---

١: والأ. ٢: وأ: كلبات. ٣: وغير واضح. ٤: والظفر. ٥: أحمراط. ٦: غير واضح. ٧: و: البواسير.  
٨: قالب التثمير.

١٣٢ فلما نظرت إليه تنفست بالأَكْل وتصورت البلاء والستم فقال لي يا سيدني يجب على الإنسان الشكر لله على الصحة ويسأله دوام العافية أليس هذا جميـه لأجل الأَكْل وللمضـع أعد لهـذا الجـسد وأـنـشـد [المنـسـح]

كَمْ أَكَلَهُ دَخَلَتْ حَشَّا شَرِهِ فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ<sup>١</sup> مِنْ أَجْسَدِهِ  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْطَّعَامِ إِذَا كَانَ هَلَاؤُ الْنُفُوسِ بِالْمَعْدِ

ثم قال لغلامه اعفنا عن الطعام وأعد بنا إلى الطشت والأشنان ففسلنا أيدينا وأخذ مخدّة واتّكأ وقال هات يا سيدني نتحدى فإنّ أباً على نظيفاً كأنه ينشدنا دائماً

[مزوء الكامل]

وَلَقَدْ سَمِّيَتْ مَارِبٍ وَكَانَ أَظَيَّهَا حَيْثُ  
إِلَّا آخْرَدِيَّتْ فِيَّهُ مِثْلَ أَسْمِيهِ أَبْدًا حَدِيثٌ

١٤٢ وبـأـالـشـيخ يـتعلـلـ للـحدـيـث ويـتـشـعـعـ ويـتـكـلـفـ لـالـنشـاطـ ويـتـصـنـعـ ويـشـدـ [الـكـاملـ]

وَتَجَلَّدِي لـلـشـامـيـنـ أـرـيـهـمـ أـبـيـ لـرـيـبـ الدـهـرـ لـأـتـضـعـضـ

فقلت يا سيدني قد تعلقت بذلك المجنون ما دمت على الحمية<sup>٤</sup> فغرقني متى أخذه وكم مقداره وما أتناول منه فقال ما هذا حجر يحتاج قبل الطحن إلى النقر ولا ت إلى ما يقطع بعض شهوـاتك أحوج مما<sup>٥</sup> يقوـيـ معدتك فأعرضـ عنـ هذاـ وهـاتـ حدـثـيـ أيـ شيءـ تحـفـظـ منـ النـوـادـرـ قـلتـ أـخـبـارـ بـيـانـ<sup>٦</sup> قالـ وـمـنـ الشـعـرـ قـلـتـ قـصـيـدةـ فيـ التـطـفـيلـ قالـ وـمـنـ الـأـيـاتـ فيـ الـأـمـثـالـ السـائـرـةـ قـلـتـ قولـ الشـاعـرـ [الـبـسيـطـ]

١ وـ الرـوحـ . ٢ أـتـلـافـ . ٣ وـ غـيرـ وـاضـعـ . ٤ وـ غـيرـ وـاضـعـ . ٥ وـ غـيرـ وـاضـعـ ، أـ (ـشـهـوـتـكـ أحـوـجـ مـنـكـ إـلـىـ مـاـ) . ٦ وـ بـيـانـ .

نَرُوْكُمْ لَا نُؤَاخِذُكُمْ بِرَوْتَكُمْ<sup>١</sup> إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا مَلَيَسْتَرَ رَازَا  
يُقْرَبُ الشَّوْقُ دَارًا وَهِيَ تَازِحَةٌ مَنْ غَالَّ الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبِعِدْ أَدَارًا

قال فَأَيْ شِيءْ عَانِيْتَ مِنَ الْمَهْنِ قَلْتَ الطَّيِّبَنِ قَالَ هَذَا الَّذِي قَرَأْتَ مِنَ الطَّبِّ قَلْتَ  
تَدِيرُ النَّاقَةَ قَالَ هَذِهِ الْعَلَةُ الَّتِي أَدْتَكَ إِلَى ضَعْفِ الْمَعْدَةِ قَلْتَ الشَّهْوَةُ الْكَلِيَّةُ<sup>٢</sup> قَالَ فَأَيْ  
شِيءْ أَخْرَجَكَ مِنْ بَغْدَادِ قَلْتَ كَانَ بِهَا غَلَّةً وَلَحْقَنِيَ بِهَا ضَرَّ فَاغْتَاظَ وَنَهَضَ وَكَانَ  
مُتَكَبِّلًا<sup>٣</sup> فِلْسٌ وَيَنْشِدُ [الطَّوِيل]

بِذَلِكَ قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَابُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

قَلْتَ يَا سَيِّدِي إِذَا كُنْتَ أَيْسَتِنِي مِنَ الدَّوَاءِ فَتَأْذِنْ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شِيءِ مَا  
أَجْدَهُ قَالَ قُلْ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ سُؤَالًا مَبَارِكًا قَلْتَ مَا السَّبِبُ فِي أَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى شَرِبِ  
الشَّرَابِ وَلَا يَلَامُ مَعْدِنِي فِي حَالِ مِنْ أَحْوَالٍ فَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْ قَوْلِي وَقَالَ هَذِهِ عَادَةٌ  
طَرِيقَةٌ<sup>٤</sup> أَنْ تَكُونَ الْمَعْدَةُ قُوَّيَّةً عَلَى الْأَكْلِ وَعَنِ الشَّرَابِ ضَعِيفَةً.

فَلَمَّا أَنْسَ إِلَى قَوْلِي ضَحِكَ وَاعْتَقَدَ أَنَّ بَاطِنَ الْفَوْلَ كَظَاهِرِهِ فَقَالَ لِغَلَامِهِ هَاتِ نَبِيَّدًا<sup>٥</sup>  
فَأَحْضَرَ طَبِيقًا وَنَقْلًا وَخَمْرًا فَأَخْذَ الْقَدْحَ وَغَسَلَهُ وَقَالَ انْظِرْ حَسْنَ هَذَا الْقَدْحَ فَإِنَّهُ  
حَصَلَ لِي مِنْ نَهْبِ قَصْرِ الْإِمَارَةِ أَيَّامَ الْفَتْنَةِ وَكَانَ عَنِّي أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَقَلَّةَ الْمَعِيشَةِ  
فِي هَذِهِ الشَّتَوَةِ احْجَتَ فَبَعْتَهُ وَقَالَ [الطَّوِيل]

وَقَدْ تَخْرُجُ الْحَاجَاتُ يَا أَمَّ مَالِكٍ كَرَامٌ مِنْ رَبِّ بِهِنَّ ضَنِيُّ

وَلَكِنَّ أَيَّامَ الْمَشْمِشِ لَا بَدَأْتَ تَأْتِي وَزَدَ عَوْضُهُ لَا سِيَّمَا وَشَتَاوَنَا كَانَ كَثِيرُ الْجَنَابِ<sup>٦</sup>  
وَالْمَطْرُ وَرَبِيعُنَا هَذَا شَدِيدُ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّغْيِيرِ وَأَظْنَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَنَةٌ وَبَائِيةٌ.

١: بِجُفُوتِكُمْ . ٢: حَبَّ . ٣: الْكَلِيَّةُ . ٤: طَرِيقَةُ . ٥: وَكَانَ الْجَنَابُ .

- ٢٠٣ ثم ملأ قده و قال هذه الخمرة التي كاً زماناً نشتهيها وبقراط يقول إنها تسكن العطش وتشفي من الم الجوع وفيها عشر منافع خمس منها تتعلق بالجسم وخمس بالنفس فاما التي تتعلق بالجسم فإنها تجود الهضم وتذير البول وتحسن اللون وتطيب النكهة وتزيد في الباه وأما التي تتعلق بالنفس فانها تسر للنفس وتقرب الأمل وتشجع القلب وتحسن الخلق وقاوم البخل .
- ٢٠٤ ثم شرب وقال لغلامه امض إلى تلميذه أبي جابر الفاصل وادعه ومعه عوده وجز بصديقنا أبي أيوب الحال وأبي سالم الجرجاني وقل لأبي موسى الصيدلاني بحياتي عليك إلا جعلتنا في هذا اليوم من أحد زبونك فما كانت هنية حتى حضر القوم فسلموا فرددنا عليهم السلام وسألوا عني فأخبرهم بحالى ثم بدأ القوم يشكون ما يقاسونه من المعيشة ويتذكرون ما باقي من الصيدلة فرأيت قوماً قد لاذوا بالأدب <sup>١</sup> إلا أن السوقية عليهم أغلب فسكتوا ساعة ثم أخذوا في الكلام في مسئلة فقال الشيخ اليوم خمر وغداً أمر فما فينا اليوم <sup>٢</sup> قراءة ولا تدريس لأن العلم الدائم يكده النقوس وجالينوس يقول إن العلماء محتاجون إلى أن يتذكروا التفكير وقتاً ما لئلا ينهك <sup>٣</sup> قواهم وأجسامهم فإن الأجسام آلة القوى والأفعال .
- ٤٠٣ ثم ملأ <sup>٤</sup> القدر وقال لتلميذه اعلم أن القدماء يقولون إن العود مبني على الطيام الأربع وأن الضرب من المغني يجري المرض من الفاصل والأوتار كالعروق ووجه العود كالاعصاب فإذاك أن تضرب ضرباً يقع إيقاعه خارج الأوتار واعتمد ما سمعت متي وهات غنني بشعر أبي نواس في أستاذنا جبريل الطيب فضرب الغلام واندفع يغنى نشيداً [الوافر]

سَأَلْتُ أَخِي أَبَا عِيسَى وَجَبَرِيلَ لَهُ فَضْلٌ  
قُلْتُ الرَّاحُ يُحَبُّنِي فَقَالَ كَثِيرُهَا قَتْلٌ  
قُلْتُ لَهُ فَقَدْرُهَا فَقَالَ وَقُولُهُ فَضْلٌ

١: أحدي . ٢: الأدب والعلم . ٣: غير واضح . ٤: أبيد . ٥: غير واضح . ٦: ملاؤا .

وَجَدْتُ طَبَاعَ الْإِنْسَانَ  
مِنْ أَرْبَعَةَ هِيَ الْأَصْلُ  
فَأَرْبَعَةٌ لِأَرْبَعَةٍ كُلُّ طَبِيعَةٍ رَظِيلٌ

ثم بسطه [الخفيف]

آعْدَلَانِي عَنْ دَارِسَاتِ الْكُلُولِ  
وَأَوْقِفَكَانِي فِي الْمُرِيبِ الْجَهُولِ  
وَأَسْقِيَانِي<sup>١</sup> عَلَى تَصَاحِبِ أَوْتَا  
رِقْضَى بَيْهَنَ حَفَقَ الْطُّبُولِ  
ثُمَّ جَسَّ الْأَوْتَارَ وَيَكُ بِلُظْفِ  
جَسَّ بُقْرَاطِ نَابِضَاتِ الْعَلِيلِ

٥.٣ فطربوا وشربوا كلهم إلا أنا فلما أيس من الشراب بدأت أعمل في أكل النقل  
فقلت له إن أفع الأنقال لي ما هو يا سيدى فقال إن المتوكل سأل جبريل عن أفع  
الأنقال فقال له نقل أبي نواس يا أمير المؤمنين فقال وما هو قال قوله [النسخ]

مَا لِي فِي النَّاسِ كُلُّهُمْ مَثُلُّ مَا يَحْمِرُ وَقُلِيلٌ الْقُبْلُ

هذا قاله جبريل للمتوكل وهو صحيح ما به ما بك قلت صدقت إلا أن هذا يصفه  
جبريل للمتوكل وفي مقاصيره اثنى عشر ألف جارية فأنا يا سيدى ما أعتمد في هذا  
النقل أعلى الشيخ أبي أيوب الحال أم على أبي سالم<sup>٢</sup> الجراحي.  
ففاظه هذا القول ميًّا وقال أليس ذكرت أتك طيب قلت بلى ثم قال أبي شيء  
تعاني من إجراء الطب<sup>٣</sup> قلت الطباع.

٦.٤ قال أسألك عن مسئلة قلت افعل فبدأ وأنشد [الوافر]

أَعِذْنِي رَبِّي مِنْ حُصْرٍ وَعَيْ  
وَمِنْ نَفْسٍ أَعْاجِمًا عِلَاجًا  
وَمِنْ رَلَاتٍ نَسِي فَاغْفَرْهَا فَأَنِّي لَا أَطِيقُ لَهَا عِلَاجًا

١: واسقيني. ٢: غير واضح. ٣: أجزاء الصناعة.

- ٢٤ ثم عاد وقال أسلالك عن مسئلة قلت اغفل فقال الشيخ لا تظن أي أسلالك لم  
صار الحبسة والصقالبة وبلا دهم مختلفة وطبائعهم متضادة يعتدي كل منهم بالاغذية  
الحرارة اليابسة ويشربون الحمور ويتفلغون بالمسك والعنبر ووجب أن يجري الأمر فيهم  
على خلاف ذلك التدبير هذا مما لا أسلالك عنه لأنّه مقبول على أنّ ليس بالجواب  
أنّ الحبسة يستعملونه دواءً والصقالبة يأخذونه غذاءً لئلا يلزم أن تستعمل أنت مثل  
ذلك في الصيف والشتاء ولا أسلالك أيضاً عن الخنزير وهو من أعدل الحيوانات<sup>١</sup>  
وغذاؤه يجب أن يكون أعدل البناءات وزاه يعتدي بأخت فضلات الإنسان لأنّ  
هذا من للسطور المذكور ولا أسلالك أيضاً عن الcedmae لم قسموا البلغم من طعومه  
ولم جعلوا الرُّنجاجي والمسيح أحد أقسامه وليس له طعم كأحد أصنافه ولم قالوا أيضاً  
أنّه بارد وهو آخر من الدم في الهضم الثالث ولا أسلالك عن الولادة هل هي طبيعة  
وقد جمعت أجناس الأمراض الثلاثة أم هي ليس بطبيعة وهي أصل الأفعال  
الطبيعية والإنسانية.
- ٢٤ لكنني أسلالك وأقول لك ربما نام الإنسان وهو حاقد فرأى كأنه يقول فلا يقول فانتبه  
وقد حفرنـ البول للخروج فنهض وبالـ قلت لهم قال وربما رأى ذلك الإنسان في منامـه  
كأنه يجماعـ فلا يمتلكـ حتى ينزلـ وينتبـه وقد أفرغـ منيةـ في ثوبـه قلت لهم قالـ ما الذيـ  
منـ البولـ منـ الخروجـ معـ حدـتهـ وأمهـلهـ إلىـ الانتـباـهـ علىـ كثـرهـ وأرـسلـ المـنـىـ عـلـىـ قـلـتـهـ  
وحـفـرنـهـ فيـ المـنـامـ ولـمـ يـمـلـهـ إـلـىـ الـانتـباـهـ وـهـاـ جـمـيـعاـ فـضـلـاتـانـ قـلـتـ لـأـعـمـ قـالـ فـمـ لـأـيـتـأـيـ  
لـهـ الـكـلامـ فـبـوـلـهـ يـهـجـمـ عـلـىـ أـنـقـالـ النـاسـ وـيـأـكـلـهـ.
- ٤٤ ثم التفت إلى الحاضرين وقال صدق أنه لا يعلم لأنّ البطنة تذهب الفطنة والله  
لو أكل ما أكله بقراط لأضحى يعتقد أنّ القوة العقلية في المعدة ثم قال لي يا مبارك  
الناصية إذا لم يتشغل الطبيب بمسائل الأطباء وتواريخ الcedmae والبحث عن غواصـ  
الكتب البراطـية وتقـاسـيرـ السـتـ العـشـرـيةـ وـعـلـلـ الـجـارـينـ الشـمـسـيـةـ وـالـقـمـرـيـةـ وـعـنـ  
الـنـاءـ وـهـلـ مـنـ خـواصـ الـأـعـضـاءـ الـمـتـشـابـهـ الـأـجـزـاءـ أـمـ الـأـلـيـةـ وـعـنـ النـبـضـ غـيـرـ الـمـنـظـمـ

<sup>١</sup> و: حـيـانـ.

في نبضة واحدة وفي نبضات كثيرة **وَإِلَّا** فَإِذَا يُشْغِلُ نَفْسَهُ بِأَخْبَارِ الْخَنِينِ وَالْمَغْنِيْنِ  
وطيب لحن ابن سُرِّيج وترنم معبد ونواذر بِدُعَةِ الْكَبِيرَةِ وأهْرَاجِ سَرِيرَةِ الرَّاقِصَةِ  
وإيقاعِ مُرَاجِمِ الرَّاقِصِ إِذَا لم يرض نَفْسَهُ فِي كِتَابِ النَّسْخِ وَالدَّسَاطِيرِ وَتَحْرِيرِ الْأَدوِيَةِ  
عَلَى مَوْجَبِ الْقَوَافِينِ **وَإِلَّا** فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَعْتَنِي بِكِتَابِ رَقَّةِ تَعْلُقِ الْعَاشِقِ وَالْمَعْشُوقِ  
وَوَصْفِ الْقَدُودِ<sup>١</sup> وَالْخَدُودِ وَالْعَيْوَنِ وَكَسْرِ الْجَفْونِ الْخَنِينِ وَالْأَيْنِ وَفَرْقَةِ الْقَرِينِ وَلَوْعَةِ  
الْخَزْنِ وَطَبِيبِ التَّلَاقِ وَشَكْوَى<sup>٢</sup> الْفَرَاقِ وَحَلاوةِ الْوَصْلِ وَمَرَادَةِ الْبَيْنِ وَمَا لَهُ قَيْسًا  
مَعَ لَبَنِي وَالْمَجْنُونِ بِلَلِي وَجِيلِ فِي بَيْنَةِ .

قلت يا سيدِي أَنَا لَسْتُ طَبَائِيًّا قال فَأَنْتَ مَاذَا قلت أَنَا حَكَّالَ فَقَالَ هَذَا شَيْءٌ  
يَعْلَقُ بِشِيَخِنَا أَبِي أَيُوبَ .

١٥      **فَقَالَ لِأَيُّوبَ اشْرِبْ هَذَا الْقَدْحَ وَاسْأَلْهُ ثُمَّ أَخْذَا الْقَدْحَ وَتَأْمَلْهُ وَرَفِعْهُ وَقَالَ هَذِهِ  
وَاللَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ [الْخَفِيفُ]**

**فَكَانَ الْبُجَاجَ قَظَرَةً مَاءٌ جَمَدَتْ وَالْعَقَارَ شُعَّةً نَارٌ**

هات بالله يا سيدِي غُنْي صوت أستاذنا أبي إِسْرَائِيلِ الْحَكَّالَ فَاندَفَعَ وَغَنَّى [البسِيطُ]

**قَالُوا أَشْتَكَتْ عَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْقَتْلِ مَسَهَا، الْوَصْبُ  
حُمْرَهَا مِنْ دَمَاءِ مَنْ قُتِّلَ وَالَّدُمُ فِي التَّصْنِيلِ شَاهِدُ عَجَبٍ**

ثُمَّ هُرْجَهَ [المقارب]

**مَرِيضُ الْجَفْونِ بِلَا عِلَّةٍ وَمُكْتَلُ الْأَطْرَفِ لَمْ يَكْتَلْ  
شَكَا حُسْنَهُ قُبَحٌ أَفْعَالِهِ فَاثَرَ فِي وَجْهِنِيَّهُ الْجَلْ**

١: غير واضح. ٢: غير واضح. ٣: أحمر. ٤: بكراة القتل تالها. ٥: قبيح.

- ٢٠٥ فشربت الجماعة كلّهم دوني ثم قال لي أبو أيوب لو أنّ رجلاً بُرْحَشِيًّا حَلَّ عين حمارك بدواء على<sup>١</sup> غير علم منك فأعماها وادعى أنّ بها سدّة ثم شارطك على براءها فلكلها بدواء أعاد بصرها به أتعرّف الدواء الذي يغشى<sup>٢</sup> طبقات العين ورطوباتها وينع النظر بها والدواء الذي يزيل ذلك الماء في الحال عنها فقلت لا.
- ٢٠٥ فقال صاحب الدار يا مردم البصيرة<sup>٣</sup> اعتقدت أنه يسألك عن الظفرة متى تكون مرضًا ومتى تكون سببًا أو عن جالينوس لم ذم العين الصغيرة ومدح الحدقة الضيقه اللهم غفراً يا سيدي في أي شيء أفيت أيام الحداة أظلتك قضيت الزمان في صحبة الصبور والغبوق ومعاشرة الإخوان وتخدير<sup>٤</sup> القيان ومعرفة أسماء الهم وتعديل السُّرُنَيات بالطلب<sup>٥</sup> وتعينة المجالس وإصلاح المسّام وتفريح<sup>٦</sup> الأترنج وخشوا اللفاح<sup>٧</sup> وترتيب الأوّل وشدّ أزية العيدان على مقادير الألحان وإصلاح الطبقات في ثقيل الأوّل وخفيه والرمل وخفيه والهرج بالوسطى والسبابة والبنصر يا سيدي ما هذا والله مما ينفع الطبيب في طبه ولا المريض للمسكين في إزالة مرضه.
- ٤٠٥ قلت ما أنا حَلَّ قال أراك تدعى صناعة وتحمد أخرى كأنك تقدم غضارة وتبعد أخرى هات عرفني أي شيء أنت قلت أنا جرائحي قال هذا شيء يتعلق بشيخنا أبي سالم.
- ١٦ ثم قال لأبي سالم اشرب هذا الدور واسأله ثم التفت إلى الساقى وقال له ناوله فأعطي لأبي سالم فشرب وأنشد [المديد]

جُدْ دِمَكَاءَ الْمُرْنَ وَالْعَنَبِ كَاسِفَاتِ الْهَمَّ وَالْكَرَبِ  
فَهُوَ لَوْ إِنَّمَا أَنْتَ بَثَ سَاجِلَتْ قَطَانَ فِي الْعَرَبِ<sup>٨</sup>  
فَهِيَ تَكْسُوكَ شَارِحَكَا دُسْتُبَكَاتِي مِنَ الْدَّهَبِ

١ و: حمارك على. ٢ و: بقى، أنتي، والتوصيب من دعوة الأطباء بحقيقة كلام فرانكه، ص ٣٥. ٣ و: البصيرة. ٤ و: تحديد. ٥ و: تعديل نيات الطلب، أ: تعديل نيات الطلب. ٦ و: تفريح. ٧ و: التفاح. ٨ و: النسب.

فلا أسايق القدح وأعطيه فقال لأبي جابر عن لي صوت أستاذنا أبي الحسين بن  
نفاج<sup>١</sup> فاندفع يغنى [المنسج]

كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجِي سَلَامَتُهُ إِلَّا فُؤادًا دَهَتْهُ عَيْنَاهَا  
بَئُلُّ خَدَّيْ كُلُّمَا أَبْسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَتْهُ شَأْيَاهَا

فسربوا ثم ملؤوا الأقداح فهرجها [السريع]

تَأَوَّهَىٰ مِنْ حَرَّ نَارِ الْهَوَىٰ قَشَلَ حَتَّىٰ لَمْ يَجِدْ مَقْتَلًا  
تَأَوَّهَىٰ مِنْ جَسَدِي كُلُّهُ فَصَلَ مَيِّ مِفْصَلًا مِفْصَلًا  
أَرَىٰ الْمَعْافَ يَعْذُلُ الْبَلَىٰ يَا رَبَّ ذَا الْعَادِلِ مَا يُتَشَاءُ

٢٦ فشربت الجماعة ثم أومأ إلى وقال يحتاج الجرائحي أن يكون عالماً بالشيخوخة  
ومنافع الأعضاء وموطنها ليحتسب في فتح الموارد وقطع الأعصاب وأطراف العضل  
والإوتار والأنسجة ثم قال كيف معرفتك بالشيخوخة قلت على غاية الكمال قال كم  
هي ألياف المعدة قلت ثلاثة قال وما هي قلت واحد موضوع طولاً به تجذب  
الغذاء وآخر يمضي عرضًا به تمسك الغذاء وآخر وراباً وبه تدفع الغذاء قال فإن  
قال قائل لا بل الدفع بالموضوع عرضًا والمسك بالموضوع طولاً والجذب بالماضي  
وراباً بماذا تجيئه أترى هذا مما يقوم لك عليه برهان أو تظهر لك صحته من  
العقل والتأثير قلت لا.

٢٧ فقال صاحب الدار إنما والله نظمه من أكل ذلك الأكل لا يحبب عن هذه  
المسائل قال أبو سالم أحسبك أنت اعتدت أثني أسألك عن جراحات المدوررة في  
المفاصل المتركة لم لا تلتم بسرعة وعن الفرق بين أعضاء الذكر والأنثى وعن علة  
الضرس النابت في سن الشيخوخة ما هذه مسائل تضيق أفال العلماء عن جوابها

<sup>١</sup> وأبي الحسن بن نفاج. <sup>٢</sup> أ: جريح. <sup>٣</sup> أ: أوثقي. <sup>٤</sup> وقتلت. <sup>٥</sup> أ: أوثقي. <sup>٦</sup> أ: الأعضاء.

ثم الفتت إلى الحاضرين وقال قد حصلنا من هذه الصناعة على تدوير العمامات وتحرير الشابورة وسعة الدراة وعظم الخاتم والفسر<sup>١</sup> عند العامة إذا غاب الفضلاء وقول السوقية يا فلان أما ترى ذا من إين مثل هذا ومن يسمع من غيره هكذا لا سيماء إذا أخذ الكتاب بيده وقتل شقيقه<sup>٢</sup> وأمال رأسه وأواماً بيده عند قيادته فمن المواريin في إقامة الملوى وإبراء الرمني ومن بقراط<sup>٣</sup> في طبه وارشيميس في حيله واقليدس في هندسته وإذا فتحته بالعلم وجده عارياً مما اتخله عاطلاً مما تحلى به وانتي إليه وعول بالمعيشة عليه فهو كما قال الشاعر [الرمل]

فِإِذَا سَأَلْتَهُ عَنْ عِلْمِهِ قَالَ عَلِيٌّ يَا خَلِيلِي فِي سَفَطِ  
فِي كَارِيَسْ جَيِّادُ أَحْكَمْ وَبِخَطْ أَيَّ خَطْ أَيَّ خَطْ  
فِإِذَا قُلْتَ لَهُ هَكَاتِ إِذَا حَكَ لَحِيَتَهُ جَمِيعًا وَمَنْخَطْ  
وَإِذَا أَخْبِرَ عَنْ شَيْءٍ تَرَى فَاتَحًا فَكًا وَمِنْهُ قَدْ ضَرَطْ

٤٦ لا سيماء الواحد منهم إذا شد العضد وقصد ومسح الميل وخل ونظر إلى القارورة وحرك رأسه فقد وفي الصناعة حقها وعرف عامها وعملها وقال لقد أحکمتها والصواب التشاغل بعلم غيرها ويسني قول بقراط العمر قصير والصناعة طويلة هذا وال ساعات طائرة والحركات دائمة والفرص بروق تالق والأوطار في غرضها تجتمع وتفرق والفنوس على غوايتها تذوب وتحترق فإن اتفق لهذا الجاهل أن يحضر مع طيب قد أسره ليه وكذا نفسه فيما يحتاج إليه في مناظرته لم يحصل منه على الكثرة من المهارة والمكابرة والاعتراض عليه بالنساء والعامنة والشفاعة إلى المريض برقاع الأصدقاء إلى أن يصرف ذلك الطيب ثم لا يزال معه في طبه ماضياً على سنته إلى أن ينبت المرعى على دمته.

---

<sup>١</sup> و: والنشر. <sup>٣</sup> و: شاريه. <sup>٤</sup> و: أبقراط. <sup>٥</sup> و: أيامها. <sup>٥</sup> و: قوانينها، والتصويب من الإمتاع والمؤانسة للتوكيدية، ج ١، ص ٣٥.

فإذا سُئل عنه بعد موته قال ما كان يمكن أن يعيش لأن المرض كان مهلكًا فالقوة ساقطة وما على الطبيب إلا الاجتهد وليس في قوة الصناعة شفاء كل مريض ولو كان كل مريض إذا استطع بألمات أحد ولكن الآجال مقسمة فما الحيلة ولا حيلة في الموت ولا قدرة لنا أن نزيد في الأجل ولعمري أنه كان حَرَّاً ويرِّ على والله فقده ولكن الأنبياء ماتوا وما يرقى أحد ويخرج في فتاوى أحمد بن حنبل ويستطرد بمخالفة المريض وغلط الطبيب الأول فإن سُئل عما تجده له تنهَّى وأشار [البسيط]

### أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبِدٍ

وإن قُدر أن يأتي له براء قال لقد خلصته من فاك الأسد ورددته من شفير القبر ويرى أنه حل العصابة من لحيته وزنع يد الغاسل عن يده وجذب ناصيته من منكر ونکير وقد بدأ بمسائلته.

ثم قال ما لي أراك مطراقًا مليًا قلت لأني لست جرائحيًّا فاغتاظ من تقليله في الصنائع وقال [الوافر]

أَظْلَكَ مِنْ بَقِيَّةِ آلِ مُوسَىٰ فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ

قلت يا سيدي عادي أغتندي ثلاث دفعات في اليوم قال دع هذا عنك فما هذا أردت هات عرقني أي شيء، أنت قلت فاصد قال هذا شيء يتعلق بفتانا أبي جابر فالنوبة معه.

قال أبو جابر لصاحب الدار يا أستاذ أسألك أن تنب عنّي في مسائلته وأنا أعوضك عن ذلك بأن أغنى لك شعر شاجي لما أهدت جاريتها للمتوكل يوم فصاده قال افعل فاندفع الغلام وغنى [السريع]

فَصَدَّتْ عَرْقًا تَبَسَّغِي صَحَّةً الْبَسْكَ اللَّهُ حُلَّ الْعَافِيَةَ  
فَأَشْرَبَ بِهَذَا الْكَاسِ يَا سَيِّدِي مُسْتَمْتَعًا لِهَذِهِ الْجَارِيَةَ  
وَاجْعَلْ لِنَ أَهْدَاهَا رَوْرَةً تَخْطَى بِهَا فِي الْلَّيْلَةِ الشَّانِيَةَ

فصاح وطرب وشرب ثم ملؤوا الأقداح فهرّجه [بسيط]

وَيَخْ الظَّيِيبُ الَّذِي جَسَّتْ يَدَاهُ يَدَكَ مَا كَانَ أَجْسَرُهُ فِيمَا يَهُ اَعْتَدَدَكَ  
لَوْاَنَ الْحَاظَهُ كَانَتْ مَبَاضِعَهُ وَقَدْ تَحَاكَ بِهَا مِنْ رِقَّهُ فَصَدَّكَ

٢٠٧ فلما<sup>٤</sup> شربوا سكت المaguea فقال الشيخ كان الملوك اليونان عادة وذلك أنهم لا يعلمون صناعة لإنسان إلا بعد تأمل مولده لأن المطبع في كل امرئ هو الذي يكون دليلاً ذلك الشيء قوياً في مولده والذين لا مولد لهم يدخلونهم إلى بيت فيه صور الصنائع فما تحرك إليه طباعهم اشربت<sup>٥</sup> نحو نقوسهم واستراحت إليه قلوبهم أخذوهم بتعلمه لقوله [الطولين]

وَكُلُّ أَمْرَيٍ يَضْبُو إِلَى مَا تَجَائِسَ

وجالينوس يستدل على همة الصبي من لعبه مع أقرانه في الملعب وهل يؤثر أن يكون ملكاً عليهم أو خادماً لهم فإن الشخص تسمون نفسه في ذلك الوقت بحسب الغالب عليه في طباعه إذا كانت الرؤية مغمورة بالطبائع الحيوانية.

٢٠٨ ولما فسد هذا النظام صار كل عطار يتصدّي لنظر القوارير والكلام على الطبائع وتتفق ما كسد عنده من الحاجة لا سيما إذا أضاف إلى طبه قرطاً فيه نوشادر<sup>٦</sup> وخضاب وغضول وكلكون<sup>٧</sup> وحب العروس وإن شعثاء تحلف لسكينة بالمصحف أن ليس في العالم أحسن من طبه وهو مع هذا ربما طبع ما الشعير وانكب على نفع

٤ أباه. ٥ أهـ ما يـهـ. ٦ أـهـ اـتـحـاكـ. ٧ وـ فـصـاحـ وـ طـربـ وـ شـربـ وـ مـلـؤـواـ الـأـقـدـاحـ فـلـيـتاـ. ٨ وـ مـالـتـ. ٩ وـ وـ كـلـكـونـ. ١٠ قـشـارـ. ١١ وـ كـلـلـونـ.

الدخان ولا يعلم للمسكين أن الفاصل يحتاج أن يعني بعينيه بمداومة الأخلاق الجالية وشرب الحبوب المنقية تالله أثني ما أعلم من المرحوم الفاصل المدفوع إلى ما ليس من عمله أم المقصود المغدور الذي يوقع يده بيده في تحكم في عرقه وغضبه.

٤٧ ثم قال لي أسألك قلت سلّ عما بدا لك قال ولا تنظر أثني أسألك عن العلة التي من أجلها صار بعض العروق يُقصد طولاً وبعضها عرضاً وبعضها وربماً فذلك معروف ولا أسألك أيضاً لم صار منفعة فصد الأُسْيل في بعض الأمراض أكثر من الباسيليك وهو طرفه وشبعة منه ولا عن الشروط التي تلزم الفاصل وقت فصاده وقبله وعدده ولا عن العروق التي حصلت معرفتها بالقياس والعروق التي عُرفت بالتجربة والتي ادركت على جهة الوحي في النّام فذلك مما يُعرفه فأرجو اليمارستان ولا أسألك عن عرق الجبهة أين يُطلب في الصبيان وعرق اليافوخ أين يوجد في الرجال ولا أسألك عن الدم الأحمر الذي إذا طُرح عليه الماء اسود والأسود يحمر.

٥٧ بل أسألك عن العلة التي من أجلها يُکَه الاستفراغ بالفصاد في امتلاء القمر والدم من استهلاكه إلى إبداره في أبدان الحيوان أغزره منه في زمان محاقة أتعلم ذلك قلت لا قال أفترق الفوائد الثلاث في شد العضد قبل الفصاد قلت لا قال ولا تعرف أول من نبه على الفصاد والاختيار لمداواة الأمراض قلت لا.

٦٧ قال فأنت من عمرك تنتهيك أعراض الموائد وتحبب<sup>٢</sup> الناس بالأكل وتأكل وتنام وتتلوي في المسائل كأنك عرق زوال تحت مقبض فصد وقد حصلنا من هذا الفصد معكم على شق العروق وأخذ الفضة وشهادة العامة أن فلاناً فصده<sup>٣</sup> طيب ويده خفيفة والواحد منكم لا يعلم أنه إن ضرب شيئاً نزف الدم الذي يتبعه الموت وإن ضرب عصباً أبطل الحركة والحس وشنج اليد وإن ضرب عضلة جذب الموارد الخبيثة إلى العضو بطلت والله هذه الصناعة وصار الحذر في الفصد مسك العضد عوض الشد وعصر العروق حتى يهارق الدم وعص العصابة وتربيع<sup>٤</sup> الرفادة وترك

١ وألا. ٢ وتحبب. ٣ وتحبب. ٤ أ: يزرق الدم ونقض المصابة وتوسيع.

البعض تحت العمامة فما يعرفون غير إهراق الدماء وأخذ الكراء فلو أن إنساناً ضاعت حمارته أو وقعت درجته لما أشرتم عليه إلا بقصده وإهراق دمه.

٢٧ ثم قال لي أرني مباضعك فأخرجت إليه دست المباضع فتأمله وقال أين المدورات والشفرات والمزوريات والحربات وأين فأس الجبهة وصنارة الصدع والدواء القاطع للدم قلت ما معنـي من هذا كلـه شيء قال فأرني لطف أنا ملـك فلماً أخرجت يديـ قال ما هذه أنا ملـك تصلـح لجسـن العروق ولا هذا زندـيـ قدـح جواب هذه المسـائل قلت لـست فـاـصـداـ قال فـانت ماـذا قـلت صـيدـلـانـيـ قال هـذا يـلـزم سـيخـنـاـ أـباـ مـوسـىـ .

١٨ فقال لأـبي مـوسـىـ اـشـرـبـ هـذا الـقدـحـ وـاسـأـلـهـ فـلـئـوا الـأـطـالـ وـرـفـعـ أـبـو مـوسـىـ قـدـحـهـ وـقـالـ مـاـ أـحـسـنـ مـاـ قـالـ فـيـهاـ اـبـنـ الـعـتـرـ [ـالـمـقـارـبـ]

وَرَاحٍ مِّنَ الشَّمْسِ مُخْلُوقَةٌ وَبَدَثَ لَكَ فِي قَدْحٍ مِّنْ نَهَارٍ  
هَوَاءٌ وَلِكَّ نَهَارٌ كَدُّ وَمَاءٌ وَلِكَّهُ غَيْرُ جَارٍ

ثم التفت إلى الغلام وقال بالله غني صوت أستاذنا أحمد بن قرابة فاندفع يغتـيـ [ـالـبـسيـطـ]

لَمَّا لَمَّتْ<sup>١</sup> بِأَصْحَابِي وَقَدْ هَجَعُوا حَسِبْتُ وَسْطَ رِحَالَ الْقَومِ عَظَارًا  
قَلْتُ مَنْ ذَا الْحَيَّيَ وَأَشْبَهْتُ لَهُ قَالُوا الْحَيْبُ الَّذِي تَهْوَاهُ قَدْ زَارَا  
قُلْتُ آنِلُوا نَعِمَتْ دَارٌ بِقُرْبِكُمْ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكُمْ مِنْ رَائِرِ زَارًا

٢٨ فـلـمـاـ شـبـرـواـ قـالـ أـبـوـ مـوسـىـ لـسـتـ أـسـأـلـكـ عنـ الـأـدـوـيـةـ الـتـيـ تـسـتـعـمـلـ لـوـقـتهاـ وـالـتـيـ تـسـتـعـمـلـ لـشـهـرـتهاـ وـالـتـيـ يـؤـمـنـ اـسـتـبـقاـوـهـاـ وـإـنـ تـقادـمـ عـهـدـهاـ لـأـنـ هـذـاـ مـعـرـوفـ وـلـاـ

١: كأس. ٢: راكض. ٣: لمـتـ. ٤: حتىـ.

أسألك عن الدواء التقى الذي إذا طُرخ على الخل حلاً ولا عن الدواء الذي إذا طُرخ على الخل حمض ولا عن الشيء اليابس الذي إذا أتى عليه الربوب أماعها ولا عن الماء الذي إذا طُرخ عليه الماء جمده فذاك معروف.

٢٨ بل أسألك عن الحجر الذي إذا أدنى إلى ضوء السراج يضحل وعن البذور القمرية وعن الغيراء<sup>٢</sup> الصيني والساذج الهندي والتوياء الحشري وعن منابت العقار بحسب فصول الأزمان أتفعرف ذلك قلت لا قال أتفعرف الحظل قلت فم قال أتفعرف الآثى من الذكر قلت لا قال أتفعرف ما منه دواء نافع فتأخذه وما منه سُم ناقع<sup>٣</sup> فطرحه قلت لا قال أتفعرف الأسفنج ليس البحري ولكن الباقي قلت لا قال أتعلم متى يؤخذ زبل الذئب وبعر الضب قلت لا قال أتفعرف الشيء الذي تغير الطبيعة طعمه وتبقى عليه لونه والشيء الذي تغير لونه وتبقى طعمه والشيء الذي تغير طعمه ولونه وبالصدق قلت لا قال أتفعرف الحجر الذي يراه الناظر أياًًضاً فإذا أدار النظر رأه أحمر فإن أدامه جداً رأه بنفسجيًّا فإن زاد النظر رأه أسود مظلاماً قلت لا قال أتفعرف الدواء البسيط الذي يجد اللسان منه حلاوة ومرارة وحموضة وملوحة معًا قلت لا.

٤٨ قال الشيخ يا يبروح<sup>٤</sup> صني ما هذه من مقامات ديسقوريدس الذي قد بدأنا منها بقطاعي الشوك وباعة الفتوح<sup>٥</sup> ها أنت تلعنون بمج الناس تعز عليهم هذه الصناعة قل الواصف لها وعدم العارف بها فتحامي التجار جلب العقار وبقينا من صناعة الصيدلة على البراني المصنفة والصوانى المزروقة والدكاكين المزخرفة والألواح المرندة والموازين والمكاييل والمصافي والطيافير وصارت العناية كلها بالحناء الجيد وماء الورد الطيب والخضاب الحال وغسل الأحرم والقلبي والنوشادر والحادور ودخنة مريم وإن تقول شعثاء لعاتكة ما في الدنيا مثل دخنة أبي حسين العطار وتقول علية القبلة ومن أين مثل قشته وتقول سكينة المشطة إنَّ عنده من دهن العافية شيء ما في الدنيا مثله وتحلف أنَّ ما في العالم مثل حواجه لا سيما إذا قالت له كـ

١: خلا. ٢: التغريب، أ: الشعير. ٣: قاتل، أ: نافع. ٤: يبروح. ٥: بوتك.

بئن خمس دراهم قشار فيعطيها ويزيدتها ويحلف أنه لا يأخذ ثمنه منها ويرسلها وقد جعلها شبكة من شباك المعيشة فلا يقع حمّام ولا مجلس قاضٍ<sup>١</sup> ولا سوق غزل ولا دكان قطان إلّا والحديث كله صفة أبي الحسين العطار.

فلمّا استوفى كلامه عجزت عن الجواب ورأيت أنّ مسألة من الصواب فقلت يا سيدي الحكمة يقولون إنّ لكل فضل رِزْكَةً فرِزْكَةً المال الصدقة<sup>٢</sup> على الفقير الحاج ورِزْكَةً القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم ورِزْكَةً البلاحة القيام بمحنة من عجز عن محنته ورِزْكَةً الجاه أن يعيّن به من لا جاه له ورِزْكَةً العلم التعليم لمن قصر علمه وإذا وجب على المال رِزْكَةً وهو ينقصه الإنفاق فهي أوجب على العلم الذي يزيده الإنفاق وقد قيل إنّ العلم كالشعر الذي كلما حلقته كان أقوى لمنائه فإن لم تحلقه فإنّ له مقداراً محدوداً وإن قُضِّيَ عاد إليه وإن ترك لم يزيد عليه فهل لك أن تعرفي جواب هذه المسائل.

قال الشيخ من يمنع الحكمة طلابها كالذى يمنع الضمان الماء البارد العذب ومن يعرض الحكمة على غير طلابها كالذى يعرض على الريان الماء الحار المالم وأنا أعرفك جواب هذه المسائل بعد أن تعرفي أيّ شيء تتخل من الصنائع فالله أثني أورد عليك كلاماً كال Yoshi الحبوب والذهب المسبوك قلت أنا رجل جئت بكتاب إلى أهل هذه البلد قال أنت من طبّ الرقاع والرسائل والتقوت إلى القوم وقال هذا مثل فاتانا قلت من هو.

قال قتي حدث نشأ عندنا يُعرف بجاريوف أبي الوفاء أمسى في بعض الليالي معافٌ<sup>٣</sup>  
وأصبح يدعى أنه حكيم [البسيط]

قَالَ لَهُ اللَّهُ كُنْ طَبِيبًا تَعْضِي عَلَى النَّاسِ بِالدَّهَابِ  
تَأْخُذُ مَالَ الْعَلِيلِ قَهْرًا<sup>٤</sup> ثُمَّ تُوَلِّ إِلَى الْتُّرَابِ

<sup>١</sup> و: قاصٍ. <sup>٢</sup> و: الصدقة. <sup>٣</sup> أ: اليتيم عفواً.

أعاذنا الله وإياكم من سوء ما تجري به المقادير على يده فهو الآن يلبس الدبiq المقم  
والمقصب المذهب والخواتيم الباخش والغير وذج ومع هذا فوالله أثني أرحمه [المقارب]

وَحَسِبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِيٍّ تَرَى حَاسِدِيَّ لَهُ رَاحِمِيَّا

لأنَّ هذا اللباس يغضه إلى الناس ويكلهم على غيبته حتى يتكلمون فيه بما أنا  
أحلف أنه لا يخسر عليه ولا يمد يده إليه ولكنه لا يرضي لنفسه أن يكون مثلنا  
الملياشيم الذين رضينا من الثياب ما ناب مناب الرئيس للطائر ومن شماشك ما ناب  
للحيوان مناب الخافر هذا أتفع وذاك أطيب ولكن اللعب إلى آخره يا سيدي هذه  
عادة مشائخ القدماء<sup>١</sup> وزهاد الأطباء وكل ما لا يشبه أربابه مسروق ونحن أعزك الله  
 أصحاب ثردة وعافية وما علينا من غيرنا ولكن إذا رأى البائس الفقير طيباً كأنه وزير  
فكيف يخسر عليه أو يمد يده إليه و يحس أن يريه نفسه وبوله وبرازه ولكن هو بعد  
حدث ما يحسن يداري عيشه.

٢٠٩ ومن المعلوم أنَّ ذا العقل لا تطره منزلة أصابها وإن عظم أمره كالجبل الذي لا  
يتزلزل وإن اشتدت به الريح والسفين تطره أدنى منزلة كالخشيش الذي تحركه أدنى  
ريح فإنَّ الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكرًا كالنار التي تزيد كل ذي  
بصر بصرًا وتزيد الخفافش عماء.

٢١٠ بالله أثني أعجب إذا قالوا إنَّ فلاناً قد صار طيباً وكنت أعهده يتيمًا فلما ترعرع  
ماشي كسيراً وعيوراً وشهوا إليه<sup>٢</sup> الجندي والركوب والفروسية إلى أن مضى على  
ذلك برهة فما أحسست بشيء حتى تصدر بعمامة وصقل أطراوه وقص أظفاره  
ووسع أردانه والتحق بالرؤساء وانتهى إلى خدمة الأولياء وبدأ يتعلم ويكتب ويقرأ ويتشور  
بأخبار الأطباء.

٤٠٩ ولعهدي به يوماً وقد حكى بعض الرؤساء حكاية أساء فيها الرواية فقال إنَّ بعض  
سراري الملوك شكت إلى جبريل بخراً كان بمولها وإنَّ جبريل أشار عليها أن تأمر

١: معلم. ٢: عادة القدماء. ٣: شهدوا له.

الخاطفين أن يفتقوا دروزها ويملؤوها مسگاً حتى إذا ضاجعها مولاها تعمد أن تشم الدروز وإذا قويت عليها الراية تواصل شم الدروز فكانت تجتمع الدرز والدرزين والثلاثة وتشهـا<sup>١</sup> فاندفع الناس يضمـكون من مخاطبته لصاحب المجلس بهذا ومن أنه المسـكين لا يعلم أنـ النـاء في الفعل المضارع تصلـمـ المؤـشـةـ الغـائـةـ والمـذـكـرـ الحـاضـرـ.

وشتـانـ ماـ بيـنـ هـذـهـ الـحـكـاـيـةـ وـماـ جـرـىـ بيـنـ إـسـحـاقـ بـنـ حـنـينـ وـبيـنـ القـاسـمـ بـنـ عـيـيدـ اللـهـ<sup>٢</sup> وزـيرـ الـعـتـضـنـ وـذـلـكـ أـنـ القـاسـمـ بـلـغـهـ أـنـ أـبـاـ يـعقوـبـ إـسـحـاقـ شـربـ دـوـاءـ مـسـهـاـ فـأـحـبـ مـداـبـعـتـهـ وـكـانـ صـدـيقـاـ لـهـ فـكـتـبـ إـلـيـهـ [الـهـنـجـ]

إِنْ يَ كَيْفَ أَمْسِيَتْ وَكَمْ كَانَ مِنْ أَنْجَالِ  
وَكَمْ سَارَتْ بِكَ الْأَنَافَةُ نَحْوَ الْمَزِيلِ الْخَالِيِّ

فـكـتـبـ إـلـيـهـ إـسـحـاقـ [الـهـنـجـ]

بـخـيـرـ كـثـرـ مـسـرـورـاـ رـخـيـاـ نـاعـمـ الـبـالـ<sup>٣</sup>  
وـأـمـاـ الـسـكـيـرـ وـالـنـاقـةـ ثـمـ الـلـرـبـ الـخـالـيـ  
فـإـجـلـالـكـ أـسـكـانـيـهـ يـاغـ غـايـةـ أـمـكـانـيـهـ

ومـاـ أـبـعدـ شـبـهـ الـمـسـكـينـ أـيـضـاـ بـعـضـ ظـرـافـ الـأـطـبـاءـ وـقـدـ أـنـفـذـهـ صـاحـبـهـ فـيـ  
جيـشـ فـلـماـ عـادـ سـأـلـهـ عـنـ الـوـقـعـةـ عـلـىـ جـهـةـ الـمـدـاعـبـ فـقـالـ التـقـتـ الـفـيـتـانـ فـيـ مـوـضـعـ  
كـرـحـةـ الـيـمـارـسـتـانـ فـلـوـ أـلـقـيـ بـمـضـعـ لـمـاـ وـقـعـ إـلـاـ عـلـيـ فـيـقـالـ فـاـكـانـ إـلـاـ هـنـيـهـ  
بـمـقـيـاسـ عـشـرـ بـضـاتـ حـتـىـ أـبـرـأـعـدـأـنـاـ بـحـرـانـاـ مـهـلـكـاـ وـعـدـنـاـ فـيـ صـحـةـ مـطـلـقـةـ بـإـقـالـكـ  
يـاـ مـعـتـدـلـ الـمـرـاجـ.

ثـمـ قـالـ الشـيـخـ يـعـزـلـيـ وـالـلـهـ بـهـؤـلـاءـ الـأـطـبـاءـ مـاتـ النـاسـ وـبـادـ جـهـابـذـةـ الصـنـائعـ وـنـقـادـ  
الـعـلـومـ فـانـقـلـعـتـ عـيـنـ الـفـضـلـ وـهـيـ عـمـودـهـ وـانـكـسـرـ فـقـارـهـ فـلـاـ ثـرـ للـكـمـةـ إـلـاـ وـهـوـ

١: والدرزين وتشهـماـ. ٢: سـلامـ. ٣: رـخـيـ الـحـالـ وـالـبـالـ. ٤: حـرمـ.

مستباح ولا جانب للفضل إلا وهو متشتم<sup>١</sup> فال慈悲ية عامة والمرء خاص لأن المريض مستغث والطبيب عاجز<sup>٢</sup> وبينه وبين مداوته سجاف قاطع مانع وهذا عيان يعني عن البرهان.

٧٩ ثم ملؤوا الأرطال واستدعى أبو سالم كأساً كبيرة فلما ملأها رفعها بيده وقال ما أحسن ما قال فيه أبو نواس [الخفيف]

فِي كُوْسٍ كَاهِنٌ بُحُومٌ بَادِيَاتٌ بُرُوجُهَا أَيْدِينَا  
طَالِعَاتٍ مَعَ السُّقَّاهَ عَلَيْنَا إِذَا مَا غَرَبَ يَعْرِبُنَ فِينَا

ثم قال لأبي جابر يا ولدي يعني أحد أصواتي فاندفع وغنى [البسيط]

عَيْنُ الْزَمَانِ أَصَابَتْنَا فَلَا نَظَرَتْ وَعَذَّبَتْ مَذَابِ الْجَنَّرِ الْوَانَا  
قَدْ كُثِّرَ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي وَالْيَوْمُ كُلُّ عَرِيزٍ بَفَدَمُ هَانَا

فطربوا وصاحوا وشربوا وملؤوا الأقداح واقترح صاحب الدار على الصبي فنأه

[الكامل]

مَرَضَتْ جَهَنَّمُ أَعُودُهَا فَرَمَّتْ<sup>٣</sup> فَهِيَ الصَّحِيحَةُ وَالْمَرِيضُ الْعَائِدُ  
وَاللَّهُ لَوْقَسَتِ الْقُلُوبُ كَهْلِهَا مَارَقَ لِلْوَالِدِ الضَّعِيفِ الْوَالِدُ

٨٩ فشربوا وحياناً بعضهم بعضاً وأكثروا من الثناء على صاحب الدعوة فلما سكتوا  
قلت يا سيدي من هذا الطبيب الذي هذه صفاته فضحك وقال صبي كنت أعرفه  
بغداد وهو إذا مرض الثان دنا به مناب الماء الغير اليوم قد تعلم يأكل الباقى المقشر  
والبادنجان المقمم فهو كما قال الأول [الطویل]

<sup>١</sup> و: متشتم، والتوصيب من رسالة الحياة للتوحيدية، ص ٥٣. <sup>٢</sup> أ: حاضر. <sup>٣</sup> أ: فرممت.

كَانَ الْقَتَىٰ لَمْ يَغْرِيْ يَوْمًا إِذَا أَكَشَىٰ  
وَلَمْ يَكُنْ فِي بُؤْسٍ إِذَا بَأَثْ لَيْلَةً  
يُنَاجِيْ عَزَالًا سَاجِيْ الظَّرْفِ الْحَلَّا

غير أنه قد دخل فيما ليس من عمله وتصدى لقعد ليس من أهله فالنعمه نافره عنه  
والرياسة غربة منه وأشد [الحفيظ]

نِعْمَةُ اللَّهِ لَا تُعَابُ لِكَنَّ رُبَّمَا أَسْتَبَّجْتُ عَلَى أَقْوَامٍ

فواصلته ظنًا بأن الزمان يصلحه فوجده فوجده يتوصل إلى الكسب بكل وجه وتحيل  
في جذب الدرهم بكل ضرب فهو مع الجندي في فن ومع التجار في فن يصف للشباب  
سنوناً للغم وللنساء دواءً للشتم وللمشيخ جلاء العين وللخجاز خضاباً للشعر وهو تارة  
يتطلب وقارنة يتجمّع ودوراً يدلّل ويسمر وإذا أدخل في شيء يحلّ ويربط ويحسن البحث  
اذ عني أنه عبد الله بن هلال ومع هذا يتجه في الأكهان ويستعمل التوايت ويكري ثياب  
الجناز ويرابي نوائح ويفنز إلى أصحاب المواريث وإذا دخل القوم داراً فارقهها بخزي  
وابقي بعدها عاراً سعادته بمناخس المرضي ومناخسه بسلامتهم من يده الشلة  
أعداؤه جميع الأئم وأصدقاؤه الحفارين والرمخ [البسيط]

قَدْ عَوَدَ الظَّيْرُ عَادَاتٍ وَقَنَّ بَهَا فَهُنَّ يَتَّبَعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ

وإذا حضر أيام الربع اجتمع مع عطار له وشارطه على نصف أثمان الأدوية  
ويعضي هو فيقصد الرؤساء في دورهم ويلقى التجار في دكاكينهم ويهدّد الناس في الربع  
بهجوم الحرث وفي الخريف بورود الشتاء ويلقي هنداً<sup>١</sup> فيقول لها يا سيّي أراك قد تغيرت  
والله إن عيناً أصابتك فقول يا أبي وأيش بقي من الغم ما حصل لي فيقول لها للأجل  
ماذا فتقول للأجل ما أقصسيه من والد أبي الفضل استودعه الله لولا أتي أطرح  
الأشياء عن قلبي وإلا كنت من الهالكين فيقول لها يا سيّي قد فسد عقله وصار

<sup>١</sup>: يباغي. <sup>٢</sup>: وهذه.

مخلطاً ولكنه مطمئن القلب منك بحمد الله ولو بُلِي بما بُلِي أهل هذا الزمان لكان يعرف  
مقدارك أتاه أراد أحسن منك وهل يلاقي مثلك على كُل حال أنا أدخل دور الناس  
وأرى ما فيها فما رأيت أحسن منك ويتكل معها في هذا وما أشبعه فيعلمها الخيانة  
ويرشدتها إلى الرتا ويحملها على صفع زوجها ومضاجرته ثم يقول لها يا ستي لعن الله  
الدنيا وما يساوي الغبن لحظة عين وينشد [الرمل]

إِمَّا دُنْسَايَ نَفِسي فَإِذَا تَفَتَّ نَفِسي فَلَا عَاشَ أَحَدْ  
لَيَتَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدِي غَرَبَتْ ثُمَّ لَمْ تَظْلِمْ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدْ

يا ستي تقبلين متي فقول له نعم يا أبي ولا أخالفك فيقول الصواب أن تشربيماء  
الجبن فإنه يخصب الجسم ويسمن المهزال ويبيض اللون وبمحمر الوجه ويرق البشرة  
ويشهي الأكل ويجود الاستمراء ويطيب النكهة ويزيل الكلف وينظر إن كانت من  
يرجي لها ولد قال ونضيف إليه شيئاً حتى يجيئنا ولديشتغل به القيسى يعني زوجها  
وربما ضمن لها أن يكون ذكرًا ولا يفارقها حتى يقرر في نفسها أن ماء الجبن يخصب  
جسمها ويحيلها ويرد قلب زوجها إليها ولا يرجع إلا حتى يكتب لها أدوية غريبة ويقول  
امضوا إلى فلان العطار وأنه غث صعب السكة ولكن حواجه جيدة فلا تفكري في  
الثمن ويقول للغلام يستأمر عليك عشرين درهماً وينقصك خمسة اجتهد في عشرة  
وان باعك وما أظن فليست بغالية وإنما فاعمل برأيك ولا ترجع إلا بقضاء حاجته  
لأن القمر غداً في العقرب وصبيحة عنيٍّ وقل أنا أعوضك في شربة أخرى ويجوز أن لا  
ترجح علينا في هذه فإنها لصديق.

فإن مضى الغلام وأخذها من غيره فإنك تراه كالأسد الذي قد فاتته الفريسة  
وهو جائع لأنّه يتأملها ويقول أين الإهليج الأسود والترنجين؟ الأيض والأمير باريس  
الحديث الأحمر ملتم والله إلى الرخص<sup>١</sup> أما تعلمون أن الحكاء يقولون إذا كان الطيب  
حاذقاً والمريض موافقاً والغلام مشفقاً والدواء جيداً فما أقل لبث العلة لا والله لا

<sup>١</sup> وذهبت. <sup>٢</sup> أ: الفتى. <sup>٣</sup> أ: النجيل. <sup>٤</sup> و: الرخيص.

أعطيت في الحق غشوة ولا قبلت على الطب رشوة ولا استعملت إلا حوايج جيدة  
إن أردتم من يصلكم وإنما تتعون من يغشكم كل هذا يفعله وهو يشكوا البطالة  
وضيق المعيشة.

فقلت قد شعلت<sup>١</sup> قلبي بهذا الرجل فقال والله ما ذكرت من أمره إلا أحسنها  
وأنشد [الطويل]

وَأَغْرِضُ عَنْ أَشْيَاءٍ لَوْ شِئْتُ قُتْلَهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَبْقِ لِلصُّلْبِ مَوْضِعًا

ولولا أتني لا أؤثر الشر إلا وجازته على قبيح ما فعله معي في هذه الأيام قلت  
وما الذي فعل بك قال شرب هذا الدور وأعرفأ.

١٨٠ فملووا الأقداح واندفع الغلام وغنى [البسيط]

جَسَّ الظَّيْبُ يَدِي جَهَلًا قَتَلَتْ لَهُ  
قَكَالٌ لِي مَا الَّذِي شَكُو قَتَلَتْ لَهُ  
قَفَّامٌ يَعْجَبُ مِنْ قَوْلِي<sup>٢</sup> وَقَالَ لَهُمْ  
إِنْسَانٌ سُوءٌ فَدَاؤُهُ يَأْسَانٌ

شم هرجه [الوافر]

وَمَا يُكَلِّفُ عِلَّةً تُشْكِي لِطِبَّهُ وَلَكِنَّ الْمَلِيمَ لَهُ دَلَالٌ

٢١٠ فلما شربوا قال الشيخ اسع يا سيدى حدثه كان لي مريض يهمي أمره فكنت  
الازمه وأساهره وأراصد<sup>٣</sup> الطبيعة في أفاله وأراعي إنذاراتها وبخارينها وأقليس بين  
قويتها وضعيتها وبين العلامات الرديئة عليها والجيدة لها وأقبل بين القوارير وأنظر  
بين رسوب هذه مع رسوب هذه وقوام هذه مع قوام هذه ولون هذه مع لوون هذه

١ و: شغلت. ٢ و: مني قولي. ٣ و: أرصلد.

لآخر الابداء والتزايد<sup>١</sup> وأول الانتهاء والانحطاط في المرض خوفاً من استعمال دواء في غير وقته فـأـكـونـ في طـرـيقـةـ وـالـطـبـيـعـةـ فـيـ أـخـرىـ فـيـتـطـرـقـ عـلـىـ ماـ تـطـرـقـ مـنـ قـلـاعـ الأـضـرـاسـ الـذـيـ قـلـمـ الضـرـسـ الصـحـيـحـ وـتـرـكـ السـقـيمـ.

- ٤١٠ كت أراعي الأدوية والأشربة والأضments وصلاح الأهوية لأن الطبيب إذا دخل على المريض يحتاج أن يكون كالشجاع الذي يدخل الحرب وقد أعد جميع ما يقيه ويقابل به فإنه لا يعلم أي خصم يثور إليه وبأي سلاح يأتيه وبأي حيلة يأخذه وكذلك الطبيب يحتاج إذا دخل على المريض أن يكون عارفاً بتركيب البدن ومراج أعضائه والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاجاتها والأدوية النافعة فيها والاعتراض عمّا لا يوجد منها والوجه في استخراجها وطرق مداواتها ليساوي بين الأمراض والأدوية في كياتها ويختلف بينها وبين كيفياتها فما زال يثقل على المريض بسؤال العواد ورقاء الأصدقاء حتى صرفي واستطبط فوالله فقد وجدت بذلك راحة واستراح متي خدامه والصيادلة.

٤١٠ وبالله أتني ما أحسده لكن إن قلت لك إتنى لست مفتاظاً منه فلا تصدقني لأن المثل يقول أشد الناس عمّا الذي نزل غيره في مكان الذي هو أحق به منه ولكن أعلم أن هذا داء قد يلبي به الإخوان على قديم الزمان فإن السبب الذي به يدرك العاجز بغيته هو السبب الذي يحول بين الحازم وطلبه على أنه قد قيل إن طيب النفس حسن الانصراف عمّا لا سبيل إليه فأحق ما صبر عليه ما لا يوجد إلى تغييره سبيل وقد فقد الصبر [الطويل]

وَمَنْ أَيْنَ لِي صَبَرُ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ أَرْسَى حَسَنَاتِي فِي مَوَازِينَ أَعْدَائِي

- ٥١٠ الساعة أنا أصدق أن هذا الطبيب الجديد مثل طبيب سنته خمس وتسعين سنة ما ذكر قط مريضاً بهذا التدبير أو عرف هذه القوانين أو جرب هذه الأمراض أو ذكر هذا التدبير أو حرث هذه الأرض، أو رقم هذا البر أو جهز بهذا العلاج للمرضى

١ و: التزييد. ٢ و, أ: يقاتل. ٣ أضيفت للسياق. ٤ و: ذكر هذا التدبير.

أو ظنَّ به أنه مما يتعامل به الأطباء أو سمع به أو عمله أو خطر باليه حتى أنه يستعمله فإن اعتقدت<sup>١</sup> هذا فإني أظلمه وقد بلغني أنَّ هذا المشكاح<sup>٢</sup> غير هذا التبدير بعدي ولم يمض على قانوني وأراد أن يظهر صنعة أخرى لا جرم أنَّ المريض في صورة قبيحة ولكن خيره ما يصلح للأصحاب هذا الزمان إلَّا مثله لأنَّه متخلٌّ ولو تَعْيِسَه.<sup>٣</sup>

٦٠١٠ وبلغني أنَّه لا يكُم أحدًا إلَّا بالميزان أين هو مثنا الدين نعتقد في المرضى أنَّهم أولادنا وإنَّ خواونا بالله لو أثك شاهدتي في صلاتي لرأيت مظراً عجيناً فإنَّ الناس كما قد علمنا واحد يسأل في صلاته سعة الرزق وآخر خاتمة خير وأنا أمددي وأسأل في رسوب أيض وفت أملس وعرق كثير وبول غزير ومجلس كبير وأقول في تَحْجِيدِي<sup>٤</sup> يا رب عبده فلان هي ليلة بحرانه جَدْ عليه برقه وفلان به نقوس جَدْ عليه بنومه.

٧٠١٠ قلت يا سيدِي سلِّ اللهُ أَنْ يرْزُقَكَ مَا يُغْنِيكَ عن هذا فضحك الشيخ وقال إنَّ كان مثلَكِ إلَّا مثلَ من ضربَه القولُم فبي طول ليلته يسأل الله سجناه أن يفجَّ عنه بريح فلم يكن فلما أيسَ من الحياة قال يا رب ارْزُقْني الجنة فقيل له أنت طول الليلة سأله في ريح ما أجابك أقسامه في جنة عرضها السموات والأرض ولكن كان يجب أن تشير على بهذا لو كان دعائِي مسجحاً والله ما دعوت لأحد قط فأفلاج وإنَّ الذي دعوت له بالإسهال قد ضربَه القولُم والذي سأله له في عرقه الحمى عليه مطبة وسبب ذلك أنَّ القوم لا يعطونا يضةً ونحن لا ندعو لهم بخالصة.<sup>٥</sup>

٨٠١٠ نعوذ بالله من كсад الأطباء ونفاق المرضى على أنَّ لي مع هذا الوغد مقامات يعرفها وأمورًا ينكرها من ذلك إني سأله يوماً على جهة المداعبة لم صار خروء الكلب ينفع في الدباغة وأختاء البقر في القصارة وزبل الذئب يحل النزجة وبغر الضب يجلو أثر القرحة فكأنَّ القمته بهذه المسائل حجراً<sup>٦</sup> ثم رأيت أن أغrieve به بمسئلة أخرى فقلت له لم التجو عند الاستنجاء على ما به من الكراهة تنظف منه اليدين بالماء ولما كان الغذاء طيباً لا يزول عنها رائحته إلَّا بماء فيه عطرية وجلاء كالسعد والأشنان

١ و: فإن أنا اعتقدت. ٢ و: مشكاح. ٣: نفسية. ٤: تَحْجِيدِي. ٥ و: شيئاً بصيحة. ٦ و: بغية خالصة. ٧ و: بجيأ.

قال لا أعلم قلت لم صار البول على الأكثر إذا برد ثخن وتكدر وكل العصارات إذا بردت رقت وصفت.

فقطاعني ومضى يقع سنه على ما فات من زمانه أيام الحداثة حيث كان العود  
٩٠١٠ رطباً والطينليناً ويتأسف بأسف الغلام الذي ذكره جالينوس قلت وما قصة هذا  
الغلام فقال قال جالينوس إن الصبي الذي يشغله حسنه عن العلم في أيام الحداثة إذا  
هرجه أحبابه وهو خالٍ من فضيلة قال يا ليت حسني لم يكن لي قلت يا سيدي هذا  
الذى يبنكم لا ينصلح قال ليس كل الأمراض تستطعكم من مرأة رام الرؤساء اتفاقنا  
وخلع الورك مع ثم الإفريز لا ينصلح<sup>١</sup> هيهات أن يعود إلى ما كان عليه لكم مجتهداً  
للمرضى في صلاح ذات بينما من غير علم منهم باطن أمرنا فيختبطون<sup>٢</sup> ناحية من الدمل  
فلا ينفع ذلك الاجتهد لأن الذي بينما جرح له غور إن لم يكشف فلم يصل إليه دواء  
وربما التم على فساد فيقي قليلاً وينقض والنكسة أشد من المرض فبني مدة مقاطعين  
ثم يعاود كلامي على داغل<sup>٣</sup> منه [الوافر]

إِنَّهُ مُرْتَدٌ لِلصَّالِحِ يَوْمًاٌ فَلَمْ يَجْعَلْ بِذَاكِهِ الْأَرْتِيادِ  
فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْتَرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ النِّنَاءُ عَلَى فَسَادٍ

وكانتها على كثير من الأشياء وأتناسى كل ما جرى وأقول لعل وعسى لكم أتاول  
١٠٠١٠ وأقول وقد قال الأول [البسيط]

لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدُ عَوَّاقِبُهُ فَرَبِّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلْلِ

فرجع إلى قببه الأول فأهرجه فيعود معرضاً بالسلام ملتمساً للمودة ولا يعلم أن من  
الحق المناس الإخوان بغير الوفاء ومودة النساء بالغافلة والجفاء [الوافر]

<sup>١</sup> (لا ينصلح) أضيفت للسياق والتصويب من دعوة الأطهاء بتحقيق البكري، ص ٦٩. <sup>٢</sup> و: يختلطون، أ: فيختبطون. <sup>٣</sup> و:  
كلاني على دخل. <sup>٤</sup> أ: مرتد للصلاح فلا ينجع. <sup>٥</sup> أ: وحق ذاك. <sup>٦</sup> أ: ينقض.

فِإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِيْ بِحَقٍْ فَأَعْرِفُ مِنْكَ عَيْنِيْ مِنْ سَيِّنِيْ  
وَإِلَّا فَأَظْرَخِنِي وَأَخْنَدِنِي عَدُوًا أَتَقِيكَ وَشَقِيقِنِي

- فأسمع وأسكت وأتفاصل عنه أنا وأشتغل فلاأشعر به إلا وقد ضربني في مفصل ١١٠٠ ولا يعلم أن الفوس تقطع الشجر فترجع وتبتت والموضع يقطع اللحم فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ولا يلتئم والصل من النشابة يغيب<sup>١</sup> في الجوف ثم يتربع وأشباه النصال في القول إذا وصلت إلى القلب لم تنتزع ولم تسخرج ولكل حريق مطنى للنار الماء ولسم الدواء ولحن الصبر وللعشق السلوة ونار الحقد لا تخبو وقد غرس هذا الرجل بيتنا شجرة العداوة ولو لا أنه قليل الحياة كثير العنا<sup>٢</sup> لكان اشتغاله بنفسه وشروعه في مداواة مرضه أفعى له وأعود إليه فإن المثل يقول إذا كان في جوارك جنازة وليس في ديارك دقيق وصبيانك جياع فلا تمض وتعزى جيرانك فصيبيتك أعظم من مصيبيتهم.
- قلت أي شيء به<sup>٣</sup> قال اضررت عن هذا واستعد بالله من مصابي الزمان والله لو لا أنه عندي كالولد ولا أحب غيبته وإلا عرفتك من مقابحه ما لا يُظن ولا يتوهم<sup>٤</sup> ١٢٠٠ ويعن الناس من مخالطته لكان تقطع حديثه لئلا تكون كالمغتابين له قلت يا سيدى حاشاك من الفية لكن بقي لي شيء، واحد أسالك عنه قال قلت على من قرأ هذا الفتى قال على أجل من وطئ الحصى ممن تعرض لعلوم القدماء لكن ماذا ينفع حضور العلة الفاعلة إذا لم توجد مادة قبلة كالكاتب على الماء كلما خط انحني على أنه والله قد تعب وأتعب يأكله القراءة والدراسة.
- لكن يجب أن تعلم أن مراتب المخالفين في هذه الصناعة ثلاثة واحد يقرأ كثيراً ولا ينطبع فيه كالناقة الذي يظن أنه بكثرة الغذاء ينحصب ولا يعلم أنه بقبول الأعضاء للغذاء والتصاقه يسمى لا بكرته فهو كلما أكل أكثر لم يتم جسده ولم يتزد وآخر يقرأ كثيراً ويفهم فهماً رديئاً فهذا يجري مجرى المبطون الذي شأن غذائه أن يستحيل ورما

<sup>١</sup> و: النشاب يعقب. <sup>٢</sup> و: العقلب. <sup>٣</sup> أ: غباء. <sup>٤</sup> و: شيء قال.

فيضعف قواه ويقلل أعضاؤه والبهال في هذه الرتبة اثنان واحد يعرف قدر رتبته ولا يتعدى وظيفته <sup>العامه أنه من المقصرين فلا يتعدي وصف البزور والسكنجين</sup> آخر يزهو بجهله على غير علم كالوارم الذي يتظاهر بالشتم وهو لشدة ما يقايسه في جهد مجده وأشد [المتقارب]

وَقَدْ يَأْسُ الْمَرْءُ حِرَّ الْشَّيَابِ  
وَمِنْ دُونِهَا حَالَةً مُضَنِّيَّةً  
كَمَا يَكْتَسِي خَدُهُ حُمْرَةً  
وَعَلَاهَا وَرَمًّا فِي الرَّأْسِ

ولهذا قال جالينوس الجهل بالجمل جهل مضاعف وهب سلمنا له العلم ما ذا ينفعه بلا عمل فإنه يقال ليس شيء أهلك للمريض من طبيب يحسن القول ولا يحسن العمل فإن صاحب العمل وإن قصر به القول في مستقبل الأمر فسيين فضلها عند الخبرة وعاقبة الأمر وصاحب القول وإن أحب بيدهته وحسن صنعته <sup>٣</sup> لا يجده غب أمره وإن الطبيب الذي يعول في مداواة الأمراض والمريض على تفتق الكلام وإقامة المعاذير عند هلاك المريض من دون التدبر السديد كالذي يشرب السم انكلا على ما عنده من الترياق فقد بان أن حسن العلم لا يتم إلا بالعمل فإن المريض الذي قد علم دواء مرضه إذا هو لم يتداو به لم يفته علمه به في صحته ولم يجده له راحة ولا خفة <sup>٤</sup> وبالضد.

ثم التفت إلى تلميذه وقال قد شغلنا عن لذتنا بنبيذ من ذكره هات قد حجي ملؤوا الأقداح واقتراح على الفتى [الخفيف]

قَالَ لِي أَحَمْدُ وَلَرَ يَدِرِ مَابِيَ أَتَحِبُّ الْحَيَاةَ عُشْبَةً <sup>٧</sup> حَقَّا  
فَتَفَسَّثَ ثُمَّ قُلْتُ لَعْمَرِي <sup>٨</sup> قَدْ جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرَقاً فَغَرَّا  
قَدْ لَعْمَرِي مَلَّ الْطَّيِّبُ وَمَلَّ الْأَهْلُ مِنِّي مَمَّا أَكَاسِي وَأَلَقِي  
لَيَتَّنِي مِثْ وَاسْتَرَحْتُ فِيَنِي أَبَدًا مَا حَيَيْتُ <sup>٩</sup> فِيهَا مُلَقَّا

١: طبقته. ٢: وخير. ٣: صفتة. ٤: ويزيد. ٥: وخفا. ٦: وعاذلي. ٧: وآغنىت. ٨: نعم حبا. ٩: حيث.

## فغى وشربوا وطربوا وضرب العود الغلام هزجاً في الآيات [الكامل]

يَا مُمَرْضِي بِمَغِيْبِهِ وَمُعَذِّبِي بِرَقِيْبِهِ  
 يَا مَكَانِي بِصُدُودِهِ حُلُوُّ الْمَنَامِ وَطِيْبِهِ  
 لَمْ لَا تَجُودْ لِعَاشِقِ أَسْرَفَتْ فِي تَعْذِيْبِهِ  
 أَعْيَا الْطَّبِيبُ دَوَاءُهُ فَكَثُرَتْ عَيْنُ طَبِيْبِهِ

فصاح صاحب الدار وقال هذا وملجم<sup>١</sup> الحروق وجري الدم في العروق لو كتب  
 ١٦٠١٠ بالإبر على البصر لرؤي أحسن منظر فنهضت الجماعة وشربت قياماً وساراً لصاحب  
 الدعوة فقدّمت إليه متهرأً لفرصة وقد هرته الأريحية وقلت هل لك يا سيدي أن  
 تسقيني قدحاً أدفع عنّي به المضرة<sup>٢</sup> وتشركني والجماعة في هذه المسرة فقال إن كنت  
 مستحقاً له قلت وبعذاً أكون مستحقاً له قال بأن تخبرني عقيب أي حركة التنفس  
 تشبهه أعقب حركة الانبساط أم عقيب حركة الانقباض فإذا شربته أي حركة يتحرك  
 القلب بعدها ضدّ ما قطعت عندها أم مثلها فذهبت أمسك نفسي لأنظر ما هو  
 الجواب فقال لي ما أشبه هذا منك إلا بما حكاه ابن قتيبة في أدب الكاتب عن  
 الذين لما سُئلوا عن عدد الأسنان جعلوا أيديهم في أفواههم ليعدوها.

ثم قال هذا وما سألك متى يكون بعض الجنين موافقاً لنصف الحامل ومتى لم يكن  
 ١٧٠١٠ موافقاً ولا عن الانقباض فهو أقدم من الانبساط ولا عن العلة التي من أجلها إذا  
 فتح الإنسان شفيته فتحاً حاراً فأسخن الأشياء الباردة وإذا ضمّهما فتحاً بارداً فبرد  
 الأشياء الحارة ولا عن العلة في أن الف بارد يلهب النار الكثيرة ويطفئ النار القليلة  
 ولمّا صارت حركة الشريين والقلب واحدة وحركتها وحركة التنفس مختلفة ثم قال لي  
 أتعلم شيئاً من ذلك قلت لا قال أفعلم أن منفعة الانبساط بالذات إدخال الهواء البارد  
 وبالعرض مص الأشياء المائمة كالماء والشراب والمرق والنقاء<sup>٣</sup> والتخفّع وشم الروائح  
 الطيبة قلت لا قال أفعلم أن منفعة الانقباض بالذات إخراج الهواء الحار وإعداد

١: أسن. ٢: وأ: ملجم. ٣: وأ: مضر المضرة. ٤: وأ: الفقاع.

الهواء للترويج وبالعرض تصوّت الحيوان والكلام والسعال والزمر والبوقات والنفخ<sup>١</sup>  
للنار والجحشاء وبالبصاق والفواق ودفع الروائح الكريهة ولاستنشار وبجمعهما يتم  
التثاؤب والضحك والبكاء والتنهّد وت نفس الصعداء والتآفف والعطاس قلت لا قال  
فأشربت قدحًا واحدًا على جهة الرحمة لك.

فلألا قدحًا إلى رأسه فقال جوّدت هذا كأنه خط العلّماء بلا هامش قلت  
يا سيدي هذا إلى الخطّ فاغتاظ وقال يا غبي المستدير لا يكون عليه خط مستقيم  
لكن إما دائرة أو قوس وأخذ القدح من يدي فشربه وقال مجالسة الجاحد حمى الروح  
وأنشد [الكامل]

لَا أَنْسٌ إِلَّا فِي مَجَالِسِ تَلَنَّقِي بِفِسَائِمِ الْأَشْكَاءِ الْأَنْزَارِ  
إِنَّ الْجَهَوْلَ تَضَرُّنِي أَخْلَاقُهُ ضَرَّ السُّعَالِ لِمَنْ بِهِ أَسْتِسْقَاءُ

ومثل ذلك قول المتنبي [الخفيف]

وَاحْتَمَلَ الْأَذَى وَرُؤْيَةُ جَانِيَهُ عِذَاءٌ تَضَوِّيٌّ بِهِ الْأَجْسَامُ

وما أحسن ما قال حكيم الفرس مقاطعة الجاحد تواري صلة العاقل.  
وببدأ وقد هرته الأريحية وقال أترى من لهذا الأمر بعدي ذهبت والله الصناعة  
البراطية والعلوم الطبية وانقضت أطراها وقطعت أهدابها فشخصها مأوفوف  
وطرفها مطروفة وصار الطيب إذا دخل على المريض فهو بين أن يفصده إن  
بعد عهده وينعنه الفصد إن قرب عهده به ويسهله إن وقف طبعه ويحبسه إن  
سهل ويتردّه إن سخن ويُسخنه إن برد وينعاه إذا رأه قلقاً ويُشرّ بصحته إذا رأه ساكناً  
هادئاً كلّ هذا لأنّه المسكين لا يعلم أنّ كثيراً ما يكون التلقّ أصلح من السكون  
والاختلاط أصلح من التيّقّظ وسود الأطراف أجود من بياضها وأنّ كثيراً ما

١: الزمر والنفخ. ٢: ويجمعها، أ: ويجمعنها. ٣: تضني. ٤: انقضت.

يستعمل الطبيب الدواء المسهل فيمن طبيعته مطلقة ليمسكتها والمسك فيمن طبيعته  
مسكة ليسهلها وأن كثيراً ما يعالج الحار بالحار والبارد بالبارد ويستعمل مع المرض  
ما يضعف الأحساس والقوّة.

١٠١١ ولجز الأطباء عن هذه الأمور ما استهان بها الجمّور واستدلوا على تقضها من  
أرجيز الشعراء وأقوال العامة فضربوا لها الأمثال وسجّلوا عليها أذى المقال فواحد  
يقول [الكامل]

مَا لِطَبِيبٍ يَمُوتُ بِالْدَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَشْفِيٌ غَيْرُهُ فِيمَا مَضَى  
هَلَّكَ الْمَدْاوِي وَالْمَدْاوِي وَالَّذِي جَلَّ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ<sup>٢</sup> وَمَنْ أَشْتَرَى

وآخر ينشد [الكامل]

وَالْكَاسُ يَلْوَنَ الْطَّبِيبَ وَإِنَّمَا غَلْطُ الْطَّبِيبِ إِصَابَةُ الْأَقْدَارِ

٢٠١١ وآخر يجرد ويقول هذا كله هذيان والذي أعلم أن ابن ثالثين سنة لا يموت ابن  
عشرين ولا يعلم أن هذه قضية قد قتلت مائة ألف قتيل<sup>٣</sup> وآخر يقول الموت سبيل  
لا بد منه وإنما الطبيب مطيب للقلوب وهذا كأنه جواب لمن قال إن الطبيب  
ضامن درك الحياة وإن الطبيب يشفى سائر الأمراض وآخر يقول ما لي أعدّ  
نفسى بالحمى ما فلان الطبيب ما يزداد بالحمى إلا صفاراً ومرضى ولا يعلم الغيب  
أنه<sup>٤</sup> لوم يختم لمات وواحد يقول أنا أكل وأشرب وأترك التداوى وأتكل على الله  
وقائل ذلك إذا مرض له حمار قبل فيه بشورة البيطار وكان يجب بحسب رأيه أن  
يتركه ويتكل على الله على أن الطبيب لا يأمر بالتداوى ونبهى عن التوكّل على الله  
وآخر يقول كم مرضت وبرأت بلا دواء ولا يعلم أنه لو استطع لكان أسرع في برءه

<sup>١</sup>: ييرئ. <sup>٢</sup>: وأباعه. <sup>٣</sup>: قيلة. <sup>٤</sup>: ويعلم أنه.

وأنه سيأتي عليه وقت لا تفي فيه القوة لدفع المرض ولا يجد من الطيب معاونه فيهلك وأخر يقول كم قد تداویت واحتیت فلما خالطت برأته ولا يعلم أن التخاطر صادف بالاتفاق فناء مادة المرض فبرا وأن أناساً كثیرین خالطوا قبل فناء هذه المادة فهلکوا وأنشد [البسيط]

عَابَ الْطَّيِّبَ أَنَّاسٌ لَا عُقُولَ هُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَكَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ  
مَا ضَرَّ شَمْسُ الضُّحَىٰ وَشَمْسُ طَالِعَةٍ أَنَّ لَا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ

٢.١١ وهذه الطوائف المباحثة لفضل صناعة الطب إذا سمعت الطيب يقول هذا الغذا يضره كذا يقولون كم قد أكلناه وما ضرنا وما يعلمون أن الطبيعة تحاجي ما أمكنها عن نفسها وتبعز عن المحاماة فتعطّب ويقولون ما دام للإنسان خبز عند الخباز فما يضره شيء فإذا جاء أبو ضابط ما يفعه شيء ويسمون الخبز الحياة ومعطي الحياة الخباز ويكون الموت أباً ضابط وإذا قيل لهم إن الترياق ينفع السموم قالوا ها الترياق وهذا الأفعى من ادعى فليرهن وإذا ذكر النبض لهم قالوا هاتان إمرأتان إحداهما حامل والأخرى عاقر عرقنا إحداهما من الأخرى من نبضهما يريدون من الطيب أن يعلم من كل شخص ما هو معلوم الله منه على الحد الذي لا مزيد فيه ولا نقص منه.

٤.١١ ولا يقنعون بما لاح لعينه ويبحلي بصيرته لأنهم لا يفهمون أن هذه صناعة تجية بالمكان وإذا عُضدت بالتوقف كانت كالضروري فليس لأن أحكامها ليست مدركة ومحاطاً بها في كل شخص يجب أن لا تكون مرولة مطروحة بل تكون متوسطة بين إدراك البغية وعدمها وليس لأن بعض المرضى هلاك لا ينبغي أن ينظر في الطب ولا بسبب أن بعض المرضى بُرئ بالطب وجب أن يقول عليها في البرء أبداً والحكمة توجب توسط هذا الأمر حتى يشكر من ينجو أو تسلم نفسه من الهلاك وللهذا استصعب بقراط القضاء والبث بما يؤزل إليه أمر المرضى.

١: وأن تكون، والتوصيب من نشوار المحاضرة للتتوخي، ج ٣، ص ٢١٣، وحكاية أبي القاسم للأزدي، ص ٢٤٨.

وإن رأوا طيباً يقرأ في كتاب قالوا له مستهرين به أفي هذا دواء للموت فإذا قال لا قالوا ما هذه الكتب إلا خرافات صدرت من عجائز خرافات وما يزيد في أجل العالم عالمه ولا ينقص في عمر الجاهل جهله وما الأمر إلا كما قال ابن غسان الطيب [الخفيف]

أَحْسَاهَا<sup>٢</sup> الْعَيْنِ وَالْأَلْمَعِ  
 كَاسِ الْمَنْوِنِ إِنْ يَسَاوِي  
 ضِّنْ كَاحَلَ تَحْمَنْ كَاللَّوْذَعِ<sup>١</sup>  
 وَيَحْلُلُ الْبَلِيدُ تَحْمَنْ ثَرَى الْأَزِ  
 أَصْبَحَ رِمَّةً تَرَايَلَ عَنْهَا  
 فَصَلَهَا الْجَوَهَرِيُّ وَالْمَرْضِيُّ  
 وَتَلَاشَى كِيَانْهَا الْحَيَوَانِيُّ  
 وَتَوَارَى تَقْيِيمُهَا الْمَنْطَقِيُّ

وهذا الكلام من الإلحاد<sup>٤</sup> على غاية الاصحاح والفساد فليس يساوي الناس في الموت والفناء حجة في عدم البقاء والمراقب في الدار الآخرة<sup>٥</sup> والناس قد يتساوون في السفر إلى المدينة ويترىون إذا وصلوا إلى المستقر بحسب المنزلة وما صحهم عن الذخائر والأمنية هذا بيان بحسب الاختصار وفيه كفاية ويعظمون البيطرة على الطب لأنهم بالهائم وشبههم بها وينظرون بالمحبرة ويسعونها خرزة الشوئ ومحرفة<sup>٦</sup> الحرفة وإذا رأوا طيباً مكتباً على العلم قالوا مقرون بالحدق ضيق الرزق<sup>٧</sup> وإذا تكلم ودقق في مسئلة قالوا سوداوي اعتقاداً أن العلم يخرج إلى الجنون فإن لم يفهموا ما يقول قالوا هذه زندقة فإن نظره<sup>٨</sup> فريق منهم أشد الفريق الآخر [الطويل]

وَمَا يَسْتَفْعُ الْآدَابُ وَالْعِلْمُ وَالْجُنُجُ  
 وَصَاحِبُهَا بَعْدَ الْكَمَالِ يَمُوتُ

ولا يقولون في الأغذية حارة وباردة لكن هذا غذاء مثال يريدون مستحلاً كالبطيخ وهذا بطع الموت أي أنه بارد يابس ويسعون الطلب ليناً ويقولون إن المشمش بطع الحمى والبلوط قوله وهذا كله قرب وإنما المصيبة العظمى اعتقادهم في الكافور والثاني أنهما حارزان وفي الرازيانج والحناء أنهما باردان وأن ماء الشعير بطع

١ و، أبو. ٢ أ: في حساحتها. ٣ أ: وأودي كأنها. ٤ و: الإيجاز. ٥ و: الأخرى. ٦ أ: حاذن. ٧ و: الرفق. ٨ و: نظره.

الصفراء كل هذا من عجز الأطباء وقلة خبرتهم بكتب القدماء، فاقررست الصناعة وهي نظام سلكها وأخلق جديدها وتفرق أيدي سبعة عديدها<sup>١</sup> فهانت في النفوس ودثّرت عند الناس وخلّت من الفضلاء فصار الآن يتعاطاها القوابل وقوام الهياكل ويقتادون في صفات الأطباء فذهب رونقها وأخلفت بحاجتها وصارت كالفضل الذي لا يحتاج إليه وبطل الطب البقراطي وظهر طب لم يأمر الله سبحانه على ألسنة أصنفائه بشيء منه.

فيينا هو<sup>٢</sup> في الكلام إذ طرق الباب مريض فأذن له في الدخول فلما حضر سلم وجلس واستأذن في وصف ما يجده فأذن له فقال يا سيدي أن أجد شفاؤك في فيوريحاً في حشائـي واعتقـلاً في طبعـي وبصـقاً وبلاـغم في معدـي ورطـوبـات تسـيل على مخدـني وإذا شـربـت الـبارـد ازـدـادـ لـهـبـاً وإذا شـربـت الـحـارـ سـكـنـ فيـ الحالـ أـكـثـرـ ماـأـجـدـ ومعـهـ هـذـاـ يـبـيـنـاـ تـرـانـيـ ضـاحـكاـ حـتـىـ عـدـتـ بـاـيـكـاـ أـمـالـيـ قـصـيرـةـ وـأـفـاحـيـ يـسـيـرـةـ هـضـيـ قـلـيلـ وـغـذـائـيـ كـثـيرـ حـشـائـيـ يـحـترـقـ وـبـوـليـ أـيـضـ كـالـيقـ وـإـذـاـ شـكـوتـ مـاـيـنـ إـلـىـ الـأـطـبـاءـ نـسـبـيـ بعضـهـمـ إـلـىـ الـكـذـبـ وـلـمـ يـرـدـنـ آـخـرـونـ عـلـىـ تـحـريكـ الرـأـسـ وـالـجـبـ.

قال الشيخ هذا مما كان فيه قد صدق في جميع ما ذكرت وهذا مرض ينفع فيه علاج<sup>٣</sup> بالأشياء الحارة ولكل ما ذكرت أسباب واضحه يحتاج شرحها إلى زمان مدد وتفريح قلب وعقل جيد فعول على الحمية وعد إلى دفعه ثانية فودعنا وانصرف فأوّلما الشيخ إلى تلميذه وقال غنّي صوتاً فاندفع يغتئ [الخفيف]

مِنْهُ لِلْكَرَى وَطَيْفُ الْخَيَالِ جُدَّدَتْ بَيْنَنَا عَهْمُودُ الْوَصَالِ  
كَانَ قَدْ سَاعَدَ الرِّقْبَ بِهَا لَوْلَا فُضُولُ السَّوَارِ وَالْخَنَالِ

فالتفت إليه مغضباً وقال أين نذهب بك أهذا من اقتراحات الأطباء وأصوات الحكاء أما علمت أنه قيم بالمعنى أن يغتئ في توز [المهنج]

<sup>١</sup> و: أيدي عديدها. <sup>٢</sup> و: هم، أ: هما. <sup>٣</sup> أ: عاجلا.

فِيْ إِلَهٍ يَا مَطَرُ فَكَثِرَةً مَا يَحِيُّ ضَرَرُ

وَقِيمٌ أَنْ يَغْيِي بِالْعَشِيِّ [الطويل]

تُصْبِحُ بِوَجْهِ الْأَرَاحِ وَالظَّالِمِ السَّعْدِ

وَقِيمٌ أَنْ يَغْيِي فِي الْعَرْسِ [السريع]

أَحْسَنَ مَا كُنَّا تَقْرَئُنَا وَحَانَ الدَّهْرُ وَمَا خُنَّا

وَقِيمٌ أَنْ يَغْيِي لِشَرِيفِ [الخفيف]

لَكَ عِيدُ الصَّلَبِ تَلْعَبُ فِيهِ وَلَنَا الْمُهْرَجَانُ وَالثَّيْرُورُ

ثم قال غني أحد أصواتي التي اقتربتها في مبدأ سكري فاندفع وغني بـ شعر العباس ١٠١١  
بن الأحuff رملًا مطلقًا في بحرى البنصر<sup>٣</sup> [الرمل]

رَعَمُوا إِلَى أَنْهَا بَاتَتْ تُحَمَّ أَبْتَلَى اللَّهُ هَذَا مَنْ رَعَمَ  
أَشْتَكَتْ أَكْلُ مَا كَانَتْ كَمَا يَشْتَكِي الْبَدْرُ إِذَا مَا قِيلَ تَمَّ  
لَيَّثَ بِي شَكُوكًا يَا سَيِّدِي وَلَكَ الْأَجْرُ وَإِنْ طَالَ السَّقْمَ

فسربوا وملؤوا الأقداح وهرجه في شعره أيضًا [السريع]

يَا أَيُّهَا الْمَحْمُومُ نَفْسِي فِدَاكَ  
مَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سُرُورُ سِوالُكَ  
قَدْ كَانَ بِي سَقْمٌ وَقَدْ رَادَنِي بِلَالُكَ  
سَقْمُكَ سَقْمًا وَبِلَالِي بِلَالُكَ  
يَا لَيْتِي حُمِّلْتُ عَنْكَ الَّذِي يَهْجُمَ هَذَا وَذَالُكَ  
تَلْقَ لِكَيْ يُجْمَعَ هَذَا وَذَالُكَ

١: وقف. ٢: وألطائر. ٣: المتبحر، أ: البنصر. ٤: وتلقين كي.

فطرب أبو أيوب الحال وقال اسمعوا يا إخوان الصفاء وبقية العلماء فوحق منشئ ١١١١  
 الطياع ومبدئ البداع لو كتب هذا بال曩ض في المسامع وقع أجل الواقع فشرب  
 القوم وطربوا وزاد الشيخ في حد الانتشاء<sup>٢</sup> فلما دبت فيه حميا الكأس وانتشرت منه  
 في الفاصل والرأس أخذ في هذينه وبث أشجانه قال يا أخي قد تعبت في جمع العلم  
 وكدت نفسي في قراءة الكتب وما بلغت بصناعة الطب غرضي من الكسب وسبب  
 ذلك أنّ مروءات الناس قد سقطت وقوسهم قد خسّت وصغرت وقد مضى العمر  
 وكبر السن وأنا ماضٍ وما أخلف ولدًا يحيي ذكري ولا حميمًا يики على قبري وتمثل  
 بقول الأول [الطويل]

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَيْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى مَجَلسِي فِي الْطِبِّ وَالْكُتُبِ بِأَكِيرَا<sup>٣</sup>

ثم أرخي عينيه ساعة بالبكاء وانصرف القوم.

وبقي أبو جابر تلميذه فالتفت إلى الغلام وقال استقني قدحًا وقال غنني بقول الشاعر ١١١٢  
 [السريع]

يَمُوتُ رَاعِيَ الْضَّانِ فِي جَهَلِهِ مِسْتَهَ جَالِينُوسَ فِي طِبَّهِ  
 وَرُبَّمَا رَأَدَ عَلَى عَمْرِهِ وَرَأَدَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ

ثم مال على جنبه نائمًا فنهضت على رجلٍ قائمًا فلما همت بالانصراف قال لي  
 الغلام تخضي يا سيدي وتتركي وهذا المسكن الذي قد كيومه وغئي حتى بح حلقة  
 جائين فقلت وما سبب جوعكما وفي الدار طعام فقال متى انصرفت لم أتجاسر على  
 تشعيشه<sup>٤</sup> ولم أقدر على التعرض به وإن أقمت احتجت بك ودخلت أنا وهذا الفتى في  
 غمارك فصافت نفسى إلى إطعامهما وسقيهما غيظًا عن شحه ومكافأة على بخله

١: قالوا. ٢: انتشار، أ: (رفع الشيخ عن حد الأشياء). ٣: والحر والكتب. ٤: وسقيه.

فأعاد الحمل وقدم الطبق فلم ينفك ولم نذر وعدلنا إلى الفالوذج واثنينا على بقائه وملنا  
نحو الشراب فشربنا فضلته وغنى ذلك الفتى [الكامل]

**أَتَيْتُ أَنَّ الَّذِينَ بَعْدَكَ أَضْرِبْتُ  
فَأَنْشَدْتُ بَعْدَكَ يَا كُلِيبُ الْجَسَسِ  
وَتَحَدَّثُوا فِي أَمْرٍ كُلُّ عَظِيمٍ لَوْكُتْ شَاهِدُهُمْ هَاهُ لَهُ تِيَاسٌ**

٢٠١٢ وطاب<sup>٢</sup> الوقت واتصل الشرب بيتنا فيينا نحن على هذه الحال إذ رفع الشيخ رأسه  
متيقظاً فلما رأى وقد تفرغ الجام من الملوي وايضاً عظام الشواء قال ما هذا  
التبسط في منزلي وتحكم في مطعمي ومشري قلت تذكرت قوله قال وما هو قلت  
[الطويل]

**أَضْكَاحُ ضَيْفِي قَبْلِ إِنْزَالِ رَحْلِهِ فِيَخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحْلُ جَذِيبٌ<sup>٤</sup>**

قال الأشار يتعاون مساوي الناس الأخيار كما<sup>٥</sup> يتبع الذباب الموضع الفاسدة  
من البدن قلت يا سيدى ما تناولنا منه إلا القليل وكذا قادرين على الكثير قال صدق  
افلاطون في قوله لا تصحبوا الأشار فإنهم يمرون عليكم بالسلامة منهم أما تعلم أن  
كل إصنفها ي يأتي على جمال وفيه بالأعمال قلت يا سيدى أنت دعوتني إلى منزلك  
وعرضت علي طعامك وشرابك فها زرت مثلاً ولا حضرت متطفلاً قال قد فعلت ما  
هو أبى من التطهيل وأصعب من التشليل لأنك غرتي من نفسك وزعمت أنك لا  
تقدرا على شرب الراح<sup>٦</sup> وأراك تكع منه بالأرطال والأقداح والذنب لي في الاغترار  
بك والانخداع لك ثم استوفى على نفسه اليدين الغموس أنه<sup>٧</sup> لا يضيف غريباً بقية  
عمره ولا يأذن في دخول منزله.

٤،١٢ فنهضت من عنده وغبت عنه عدة أيام وعاودت داره فإذا به مراعياً للطريق  
من شباك فلما نظرني صاح يا غلام احفظ الباب والممرق فقد ورد الغرار الملق

١: تحاوروا. ٢: تتبس. ٣: انتقضت. ٤: وأ: جذيب. ٥: الناس كما. ٦: الشراب. ٧: اليدين أنه.

وأخاف أن يلْجِي الدار ويسلّق فلما رأيته بدأته بالسلام وغمرته بالإعظام والإكرام  
فأعرض ولم يرد السلام فأشدّت [الطويل]

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجُنُونِ إِلَى الصَّفَا أَئِسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِكَةَ سَامِرْ

قال الشيخ [الطويل]

بَلِ الْخَنْ كَنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَهَا صُرُوفُ الْلَّيَالِي وَالظَّيْبُ الْمَسَافِرُ

ثم قاطعني وأغلق باب الشباك فكان آخر عهدي به.

قد وفينا بما ضمننا بقدر ما جادت به القرحة وساعدت عليه العبارة وجعلنا المهرزل  
طريقاً إلى الجهد إذ كان الإنسان متزدداً بين الحس والعقل وذكرنا أسماء غير دالة على  
أشخاص معروفة ليصل إلى القارئ العلم بهم<sup>١</sup> على جهة<sup>٢</sup> المجاورة ووسعنا الكلام لأن  
اللسان<sup>٣</sup> إذا وجد مسرحًا لم يقف والخاطر إذا<sup>٤</sup> أصاب سخاماً يكت على أنا لو أردنا  
فرش الكلام لترضنا لحدوث الملال والسام.

ورجو أن يكون ما أتينا به مالكا<sup>٥</sup> لرضى من حث على نظم منتشره وجمع منتشره  
ونسأل الله أن يخرجنا من هذا الفناء المحسوم من العنا بعد العنا<sup>٦</sup> إلى حضرة القدس  
ومقر الأننس مع مراد النفس في مملكت السماء حيث لا يعتذر مطلوب ولا يفقد  
محبوب أنه سميع مجيب.

---

<sup>١</sup> و: بل. <sup>٢</sup> و: لتصل الفهم إلى القرأي بهم. <sup>٣</sup> و: وجه. <sup>٤</sup> أ: النطق. <sup>٥</sup> و: الخاطر وإذا. <sup>٦</sup> و: مدركا. <sup>٧</sup> أ:

المحسوم بالفناء.

**LIBRARY OF ARABIC LITERATURE**

**GENERAL EDITOR**

Philip F. Kennedy, New York University

**EXECUTIVE EDITORS**

James E. Montgomery, University of Cambridge  
Shawkat M. Toorawa, Yale University

**EDITORIAL DIRECTOR**

Chip Rossetti

**ASSOCIATE EDITOR**

Lucie Taylor

**EDITORS**

Sean Anthony, The Ohio State University  
Huda Fakhreddine, University of Pennsylvania  
Lara Harb, Princeton University  
Maya Kesrouany, New York University Abu Dhabi  
Enass Khansa, American University of Beirut  
Bilal Orfali, American University of Beirut  
Maurice Pomerantz, New York University Abu Dhabi  
Mohammed Rustom, Carleton University

**CONSULTING EDITORS**

Julia Bray Michael Cooperson Joseph E. Lowry  
Tahera Qutbuddin Devin J. Stewart

**DIGITAL PRODUCTION MANAGER**

Stuart Brown

**PAPERBACK DESIGNER**

Nicole Hayward

**FELLOWSHIP PROGRAM COORDINATOR**

Amani Al-Zoubi

NEW YORK UNIVERSITY PRESS  
*New York*

Copyright © 2023 by New York University  
All rights reserved

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Names: Ibn Buṭlān, -approximately 1068, author. | Kennedy, Philip F., editor, translator. | Farrell, Jeremy, 1985- editor, translator. | Toorawa, Shawkat M., editor.  
Title: The doctors' dinner party / Ibn Buṭlān ; edited and translated by Philip F. Kennedy and Jeremy Farrell ; volume editor, Shawkat Toorawa.  
Other titles: Da‘wat al-atiṭbā'. English  
Description: New York : New York University Press, [2023] | Includes bibliographical references and index. | Summary: "An eleventh-century satire in the form of a novella, set in a medical milieu. A young doctor from out of town is invited to dinner with a group of older medical men, whose conversation reveals their incompetence"-- Provided by publisher.  
Identifiers: LCCN 2022026947 | ISBN 9781479818778 (cloth) | ISBN 9781479818792 (ebook) | ISBN 9781479818785 (ebook)  
Subjects: LCGFT: Satirical literature. | Novellas.  
Classification: LCC PJ7750.I167 D3913 2023 | DDC 892.7/334--dc23/eng/20220923

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.